وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 13/MD12/054

الرثاء في شعر عباس محمود العقاد

"عابر سبيل"أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: **اللغة والأدب العربي** فرع: **أدب عربي** تخصص: **أدب عربي حديث**

إعداد الطالبة:

ريمة منصوري

إشراف الأستاذ:

محمد بوعلاوي

تاريخ المناقشة:2015/06/02

أمام اللجنة المناقشة:

ـ الأستاذ محمد بوعلاوي.....مشرفا و مقررا

ـ الأستاذ عثمان مقيرش.....رئيسا

ـ الأستاذ بن أمحمد عامر.....مناقشا و ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014

شكـــــــــر وعـــــــرفان

أشكر الله عز وجل الذي أنعم علي حب المعرفة،وهداني لإنهاء بحثي هذا،وأشكر والدي الذين علماني وربياني خاصة والدتي العزيزة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف "محمد بو علاوي "على وقته وجهده،وأكثر من ذلك أشكره لصبره ،كما لا أنسى فضله في التوجيه والعناية،وحسن المعاملة.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة، وكل الأساتذة الذين لم يبخلوا عليَّ بتوجيهاتهم ونصائحهم، ومن هؤلاء الأستاذ "بن أمحمد عامر"،"العربي عبد القادر"،والأستاذ "زكري بحوص",وشكرا لكل من ساعدنا لانجاز هذا البحث.

مقـــــــــــدمة

مقدمة:

إن الشعر الذي يستحق الخلود وعناية، ويقع الإعتزاز به، هو الذي يمثل وجدان الأمة، في التعبير عن أحاسيسهاو عواطفها وأفكارها في خضم ملامح البقاء، ويحكي أفراحها وأحزانها أما الشعر التافه الذي لا يعرف له هدف ولا يدفعه إلى الوجود سوى حب الظهور، وسرعا نما يسقط في زاوية الإهمال والموت ذلك لأنه مجرد من الفكرة والتي هي شريان الوجود في الشعر. والعرب في القدم عنوا بهذا الفن عناية كبير فقد أدركوا تميزهم بسلاح الشعر، فوقفوا أشعارهم على الفخر بأحساب القبائل ومدح شجاعة مقاتليهم، ورثاء من قتل منهم، هذا الأخير رغم بؤس ما ينظم فيه إلا انه تطور عبر العصور، واكتسب من كل عصر سمات شت، طبعت موضوعاته وميزتها، فهذا التطور لفن الرثاء ما هو إلا تطور للحضارات، فما كان لحضارة أن تولد وتكبر، إلا أن تشيخ وتفنى، فالرثاء في الشعر قديم قدم الفن نفسه.

أما مهمة اختيار لموضوع الرثاء، فلم تكن سهلة، فقد جاءت بعد تحريات واستفسارات كثيرة في أروقة جامعة، والأخذ برأي الأساتذة الذين لم يبخلوا علي بالإجابات الشافية والوافية وسبب اختيار لهذا الموضوع هو لأمرين، أولهما خاص، وير جع إلى ميل لهذا النوع من الموضوعات الحزينة فلولا الحزن لما شعرنا بقيمة السعادة، كما أن الرثاء يرتبط بالإنسان ارتبطا حساسا، محاطا بمشاعره وعواطفه، متطرقا إلى الحقائق الكبرى المتعلقة بالبحث عن المصير المجهول، والحياة والموت، يجعلنا ندرك قيمة الحياة التي نملكها وأهمية من هم حولنا الذين بعثوا بهذه النفس إلى الحياة، والذين يولدون معنا، والذين نعيش معهم.

أما الأمر الثاني فهو عام: ويرجع أن شعر الرثاء لم ينل القدر الكافي من عناية الدارسين واهتمامهم، ففي الوقت الذي نجد فيه عددا من الدراسات القيمة التي تتناول الإغراض الشعرية، كالمدح والغزل والهجاء... وغير ذالك، لا نكاد نعثر على الدراسات متعمقة تتناول الرثاء.

أضف إلى ذالك قلة الدراسات في الشعر"عباس محمود العقاد"وفي غرض الرثاء خاصة، لهذا جمعت بين الأمرينلندرة الدر اسة فيهما.

كما أن أستاذيالكر يم "محمد بو علاوي" كان سببا رئيسيا، فقد دعمني في اختياري هذا الموضوع، وأشار لي به وبعد تشاور بيننا، انطلقت في بحثي هذا.

وفيما يخص الدراسات السابقة نذكر بعض الدارسين الذين عرضوا لفن الرثاء –على سبيل المثال لا الحصر– "شوقي ضيف" في كتابه "فنون الأدب العربي الفن الغنائي2، الرثاء"، "عبد العزيز عبد الرشيد سالم" في كتابه "شعر الرثاء العربي، واستنهاض العزائم"، أما دراسات خريجي الجامعات والذين تعرضوا للرثاء من خلال بعض موضوعاته أو عصوره نذكر "فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس للهجري" للطالب "عبد القادر شريط"، و"الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام "من إعداد "حسين جمعة".

وفي بحثي هذا واجهتني صعوبات جرت العادة أن يتحدث كل باحث عنها وهي كثيرة،منها الخاصة التي لا أرى الضرورة للحديث عنها لان البحث يستمد مشروعيته ووجوده مما يكتنفه من صعوبات، فهي التي تعطي الباحث شعاعا من الأمل ونوعا من المتعة،بعد تذليلها الواحدة تلوى الأخرى أما، الصعوبات العامة فتتعلق بنقص المصادر والمراجع في الجامعة، وفي المكتبات الخارجية ،ولكنها ذللت بفضل الله وبفضل الكتب الالكترونية.

كما أن أهمية فن الرثاء، جعلتني أتابع في مسعاي هذا فهو يرتبط ارتباطا بحياة الفرد والجماعة،كونه يختلف عن أغراض الشعر الأخرى، في كونه خالي من التصنع والتقليد في غالب الأحيان، لأنه ينبع من الوجدان.

كما انه أثرى التاريخ بحقائق كثيرة لم تذكر في الوثائق والشهادات، فجعلت من الرثاء موضوعا شائكا، حاولت من خلال دراستي هذه البحث عن طبيعته، فتشكلت لدينا التساؤلات فيمايلي: ما هي موضوعات الرثاء التي تناولها " العقاد" ؟وما الخصائص الفنية في شعره؟.

ولما كان المنهج ضروريا في الدراسة الأكادمية فاني اعتمدت على أكثر من منهج، المنهج التاريخي الوصفي الذي يصلح لمثل هذه الموضوعات القديمة، من خلال تطور الرثاء عبر العصور، وموضوعات الرثاء المتناولة، والمنهج الفني الجمالي من خلال اللغة و الأسلوب والبديع والبيان، كما إنني اعتمدت في بعض الأحيان على المنهج التكاملي.

وقد استقريت في خطة البحث كالتالي:

مقدمة، مدخل، فصلين وخاتمة، بالإضافة إلى الفهرس و قائمة المصادر والمراجع .

ففي المقدمة ذكرت سبب اختياري للموضوع، تحدثت عن الدراسات السابقة ثم تناولت الصعوبات التي صادفتني، وبعد أن بينت الأهداف المرجوة من دراستي هذه والتي كانت من أهمها تغيير النظرة السلبية اتجاه فن الر ثاء، ونحو الشاعر في حد ذاته، مع إظهار أهمية البحث.

أما المدخل فقد أشرت فيه إلى نشأة فن الرثاء وتطوره عبر العصور، ثم يأتي الفصل الأول بعنوان"موضوعات الرثاء في شعر العقاد"، فأدرجت تحته أربعة مباحث وهي على التوالي:

ترجمة الديوان،رثاء النفس، رثاء الأصدقاء، رثاء الزعماء.

أما الفصل الثاني فعنونته "دراسة فنية في مراثي العقاد"، وفي الخاتمة خلاصة لنتائج البحث مرتبة بحسب الفصول والمباحث، تلتها قائمة المصادر والمراجع، وفهرسة الموضوعات.

وأخيرا لا أزعم أن بحثي هذا خالا من العيوب والمأخذ ولكن حسبي أني أخلصت النية، فاجتهدت وحاولت فإن فأتتني الغاية لم يفتني شرف السعي إليها،والله ولى التوفيق.

المـــــــــــدخل

توطئة:

يعد الرثاء من أصدق الأغراض الشعرية، وأكثرها تميزا، لما فيها من تأثير في النفوس، وصدق في التعبير عن العاطفة، وشاعرنا "محمود عباس العقاد "وجد في الرثاء مواساة لمأساته في هذه الدنيا، التي لم تنصفه، كما لم تنصف غيره، فهي غير عادلة، أخذت أعز رفقته وأطاحت بأحد أهم أعلام ثورة وطنه،فجاء رثائه صادق التعبير قوي الإحساس،فهذا كله واكب حياته المتدهورة، والتي تملأها الغرابة، ولمعرفة ذلك نمر على لمحة لحياة الشاعر.

أولا- التعريف بالشاعر:

1-مولده ونشأته:

""محمود عباس العقاد"، عبقري موهوب، وأديب مفكر، وناقد ذكي وكاتب هامي وا إمام من أئمة الأدب والشعر في العالم العربي، كان شاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة وعمق الفكرة، ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في مصر من أوائل القرن العشرين، واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكرية، ونال الصدارة في كل مجال وميدان.

ولد "العقاد" في 28 يونيو 1889، وتوفي 12 مارس 1964[1] "بأسوان" من أسرة مصرية متوسطة الحال، حيث اختلف منذ نشأته الأولى الكتاب، فالمدرسة الابتدائية، ثم انتقل إلى القاهرة وهو في الرابعة عشرة من عمره، ولم يتم دراسته في المدارس فنشأ عصاميا معتمدا على ذهنه الخصب وثقافته الواسعة، وا إرادته الصلبة، وقد كان أجش الصوت في قامته طول نعت من أجله بالعملاق.

التحق العقاد ببعض الوظائف الحكومية، ثم تركها للصحافة، ثم ارتبط بالمازني وعبد الرحمان شكري برباط الصداقة، والمحبة، والتوجه الأدبي، وقد إنظم بعد ذلك إلى حزب "الوفد"

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، د ط، ج2 ، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت، ص 33.

وكتب في جريدة البلاغ الوفدية فخاض في غمار السياسة فكان قلمه أمضى الأقلام، وأشده، ثم سجن بسبب كتابه (الحكم المطلق في القرن العشرين)، ودام سجنه 9 أشهر ألف خلالها (عالم السدود والقيود)، ثم عين عضوا في مجلس الشيوخ في مجتمع اللغة العربية".[1]

"وقد استطاع "العقاد" لظروف نشأته بمدينة أسوان السياحية أن يتعلم اللغة الإنجليزية لإختلاطه بالسياح، والخبراء بخزان "اسوان" وفي هذه المدينة الجميلة استطاع العقاد أن يملأ عينيه بعلومها وآدابها، وكان العقاد ينظر إلى كبار الزوار بنظرة كسائر الناس، حينما نشب عن الطوق لم يكن يثيره مقابلة العظماء والقادة، وقد كان العقاد رحمه الله مؤمنا بالله إيمانا كاملا، لا عن وراثة فقط بل عن شعور وتأمل وتفكير طويل، فقد نشأ في أسرة شديدة التمسك بدينها، وقد نشأ العقاد فوجد أبوه يخرج إلى صلاة الفجر والناس نيام، يلتمس الرحمة في مصلاه إلى ما بعد طلوع الشمس، وكان يقضي والده هذا الوقت من الفجر إلى الشروق في قراءة القرآن والأذكار والاستغفار، وكانت والدته مثل والده تصلي الصلوات الخمس وتطعم المساكين، وتصل الأرحام، وتعطف على الفقراء، وكانت تقام في بيت أخواله "ندوات لقراءة الكتب الدينية" من أحاديث وفقه وتفسير، فكان للوراثة والبيئة شأن فيما عنده من الإيمان والاعتقاد الديني."[2]

2-شخصيته ومبادئه:

"أما الإيمان بالحس والشعور فذلك أن مزاج التدين ومزاج الأدب والفن يلتقيان في الحس والتصوير والشعور بالغيب وعظمة خالق الكون، وكان إيمان "العقاد" رحمه الله بالحياة والدين والأدب والأخلاق لا غاية له إلا الكمال".[3]

---

[1] – محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

[2] – ينظر: محمد محمد عويضة، عباس محمود العقاد قطرات من بحر أدبه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994، ص 5-8.

[3] – كامل محمد محمد عويضة: عباس محمد العقاد قطرات من بحر أدبه، ص 8.

"ومن ناحية أخرى يوافق اعتقاد العقاد في أن ذات الإنسان هي المسؤولية قبل كل شيء، وا يمانه بالفردية وبحثه الدائم وراء الشخصية الفردية المتميزة ضمن ظروف العصر الواحد والبيئة الواحدة[1]، ولعل وعيه بالجانب النفسي ونشأته الإسلامية وا يمانه عن اقتناع وتأمل، "جعلته يصبح من بين مؤسسي الاتجاه النفسي وتطوره في نقدنا العربي الحديث، بل رائدهم في ذلك، لما بدا عليه من تحمس لهذا الاتجاه منذ باكورة مكوناته الثقافية –الذاتية– التي تعكسها إرهاصاته الأولى في دراسته للشخصيات التي رسم لكل منها مفتحا خاصا"[2].

"وكل ذلك جعل من "العقاد" شخصية بارزة أثبتت وجودها بجدارة بين صفوف الأدباء من الوطن العربي بل "في الطليعة من مفكري هذا العصر، وأدبائه، ومن أشهرهم ذكرا وأوفرهم إنتاجا على الإطلاق، امتازت كتاباته بالبحث والتحليل والدقة، كما امتاز بقوة العارضة والجدل والحوار، وسعة الاطلاع، قال لما بلغ سن الستين (قرأت ستين ألف كتاب، وألفت ستين كتابا"، وكان قليل الصحاب قليل الثقة بالناس قليل المبالاة بالرأي العام، عنيفا في خصومته كما أنه من الشعراء المجددين في الشعر العربي المعاصر، وهو من العلماء الذين خدموا الإسلام بأقلامهم، وقد برع في كتابة السير والتراجم"[3].

3–لغته وأسلوبه:

"إن شعر العقاد شعر علماء، فقد كان يعنى بأسلوبه عناية واسعة تقوم على الجزالة والمتانة، واستخدام اللفظ الفصيح والغريب أحيانا مع محافظة على أوزان العروضية القديمة، فميدان تجديده الشعري كان في المعاني دون الألفاظ والعروض، وقد استوعب في شعره الفكر الغربي، وهو شعر متصف بالوحدة العضوية أحيانا، بالإضافة إلى التأملات، والتوليدات الفكرية، وهو

[1] – أحمد هيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون،د ت، نسخة 1، ص 52.

[2] – عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 131.

[3] – محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، ص 354.

يخضع ذلك كله للمنطق خضوعا شديدا قاسيا، وفي ديوانه (عابر سبيل) رأى "العقاد" أن كل شيء في حياتنا اليومية صالح ليكون مادة للشاعر يستنبط منها القصائد والمقطوعات"[1]،" فاهتمام "العقاد" بالشعر هو نتاج الرغبة والحب لا كونه أديب ومفكر، فعليه الإلمام بكل شيء وفي ذلك يقول "العقاد": "حبي للشعر جعلني أترك الحرية للأدب"[2].

وإن هذه الشخصية النادرة أحيطت بكثير من الاهتمام من قبل أدباء عصره، بين ناقد مستنكر ومعجب مندهش، يقول "وديع الفلسطيني" عن "العقاد": "إنه إنسان عظيم يكاد لولا الضعف البشري يكون سوبرمان قليل المثال في تاريخ الفكر العربي، لا يجود الزمان بمثله في كل ألف جيل"، ويقول "ميخائيل نعيمة": "جف مداد الأدب بموت عباس محمود العقاد، وسيبقى اسمه من ألمع الأسماء"[3].

4- مؤلفاته:

"للعقاد 83 كتابتا منها: ابن رشد، ابن الرومي حياته من شعره، عمرو بن العاص، أبو الأنبياء إبراهيم، أبو الشهداء الحسين بن علي، أثر العرب في الحضارة الأوربية في الإسلام في القرن العشرين، أشباح الأصيل (ديوان شعر)، أشباح الليل (ديوان شعر)، أعاصير مغرب (ديوان شعر)، ألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي، الإنسان في القرآن الكريم، بين الكتب والناس، التفكير فريضة إسلامية، جحا الضاحك المضحك، حقائق الإسلام وأباطل خصومه، الديمقراطية في الإسلام، ديوان العقاد، الديوان (بالاشتراك مع المازني)، رجعة أبي العلاء، سارة (رواية)، ساعات بين الكتب ... الخ"[4].

---

[1] – محمد بزواوي: موسعة شعراء العرب، ص 354.

[2] – كامل محمد محمد عويضة: عباس محمود العقاد قطرات من بحر أدبه، ص 14.

[3] – محمد بوزواوي: المرجع السابق ، ص 354.

[4] – محمد بوزواويموسوعة شعراء العرب، ص 355.

ثانيا- التعريف اللغوي والاصطلاحي للرثاء:

أما فيما يخص الرثاء فيعتبر احد أهم أغراض الشعر, بل اصدق ضروب الأدب العربي, ولأهمية هذا النوع الشعري كان لا بد من البحث في معناه وتحديد مفهومه, والدي جاء كما يلي:

1- لغة:

" اختلف أهل اللغة في اشتقاق كلمة الرثاء لغة، فمنهم من عدها من (رثأ) المهموز وأنه"[1] جاء بمعنى الاختلاط والضعف، "إرتثأ عليهم أمرهم إذا اختلط، ثوب رث، وحبل رث، وقد رث وأرث وفيه رثاثة، ونقلوا رثة البيت وهي إسقاطه. واشترى رثة فربح فيها، ومن المجاز أرتث فلان: حمل من المعركة مثخنا وضعيفا، ومن قولهم هم رثة الناس لضعفهم شبهوا برثة الناس"،[2] ومن ذلك أيضا "رثأ اللبن، كمنع: حلبه على حامض فخثر، وهو الرثيئة، ولغة في رثى الميت، وخلط، وضرب، واللبن: صيره رثيئة، والقوم: عمل لهم رثيئة، بالضم: الرقطة، كبش أرثأ ..وا ٍرتثأ في رأيه: خلط، والرثيئة: شربها واللبن خثر، كأرثأ[3].

"وذهب آخرون إلى أنها من (رثا) ودلت على الضعف والوجع والحمق "الرثو فأما قولهم رجل مرثو أضعيف العقل فمن الرثية.

والرثية بالفتح وجع في الركبتين والمفاصل، والرثية: الحمق، وفي أمره رثية أي فتور، ورثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاه ومرثية ورثيته مدحته بعد موته وبكيته ورثوت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذلك إذا أنظمت فيه شعرا[4].

---

[1] – عبد اللطيف يوسف عيسى: شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط1، دار عبدان للنشر والتوزيع، الأردن،2013، ص 15.

[2] – الزمخشري: أساس البلاغة، د ط، دار صادر، بيروت، 1979، ص 220.

[3] – الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي: القاموس المحيط، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، ص 18.

[4] – ابن منظور: لسان العرب، ط4، م5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص 99-100.

"وقال فريق آخر أنها من (رثى) المعتل اجتمع الراء والثاء والحرف المعتل ودل على[1] رقة وا ٍشفاق،[2] ومنه الرثية بالفتح: وجع في الركبتين والمفاصل، ورثيت الميت مرثية، ورثونه أيضا، إذ بكيته، وعددت محاسنه ورثى له، أين رق له.[3]

"وتصريفه: رثى، يرثي، ارث، رثا، ورثيا، فهو راث، والمفعول مرثي، رثى لحاله: رق وأرق بحاله وتوجع له، رثى للتعساء لشهداء فلسطين، حالته تدعو للرثاء شيء يرثى له يستدعي الشفقة، رثاء [مفرد] مصدر رثى / رثى فن من فنون الشعر العربي، قصيدة رثاء، رثائية [مفرد] اسم مؤنث منسوب إلى رثاء "قصيدة رثائية" مصدر صناعي من رثاء، قصيدة تقال في ذكر محاسن شخص ميت ... مرثية [مفرد] ج: مراث ومرثيات، قال في الفقيد مرثية بليغة أبكت الحاضرين،[4] أي القصيدة أو القطعة الشعرية أو الأثر الأدبي الذي تتخذ الرثاء موضوعا لها، أما الرثاء فهو الإشفاق والحزن وهو أمر معنوي"[5].

2- اصطلاحا:

"يعد المعنى الاصطلاحي للرثاء امتداد للمعنى اللغوي، إذ هي صرخة محزون أصيب في عزيز على قلبه مما تركه ينوح ويبكي ويطول حزنه كلما قربت الصلاة من الفقيد"[6]، "فهو تأبين الميت وذكر محاسنه وفضائل أخلاقه وتصوير ما يتركه الفقيد من أثر في القلوب من

---

[1] – عبد اللطيف يوسف عيسى: شعر الرثاء في عصر الملوك و الطوائف في الاندلس ، ص 15.

[2] – ابن فارس أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون،ج2، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979، ص 384.

[3] – الجواهري، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل الطريفي، ط1، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ص 306.

[4] – أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، م1،عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص156-157.

[5] – نعمة مقبول علي بشير: المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام، د ط، دار الصادر، بيروت، 1997، ص 15.

[6] – عبد اللطيف يوسف عيسى: شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الاندلس، ص 16.

أسى وحسرة وفزع"[1]،" فيتأسف على الميت ويذكر مناقبه"[2]،" وهو باب من أبواب الشعر عامة والشعر العربي خاصة"[3]، فالرثاء إذن كما تقول بشرى الخطيب: "هو التفجع علىالميت وا ٍظهار الحزن عليه وتصوير الخسارة التي نجمت عن فقده، وتعداد فضائله وصفاته الحسنة، وتحمل الأشعار التي تضمنته –عادة– فيضا من العاطفة ودعوى إلى التأمل في حقيقة الحياة وان تجاوز الأمر إلى الصراخ والنواح"[4].

"ليصبح الرثاء فنا يعبر به الشعراء عن عواطفهم اتجاه من فقدوه من أهل، أو بلد أو مجد، وله أنواع كثيرة منها الرثاء الرسمي، ورثاء النفس والأهل ورثاء العلماء والأصدقاء وهناك رثاء المدن المنكوبة ورثاء الملك الضائع"[5]،" ويأخذ على الرثاء ألوان ثلاثة تحت ظل هذه الأنواع هي: الندب والتأبين والعزاء:أما الندب، فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، وأما التأبين فهو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، وكأنه ضرب من التعاطف والتعاون الاجتماعي، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وا ٍنما يعبر عن حزن الجماعة، ولذلك يسجل فضائله ويلح في هذا التسجيل وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكر ة التاريخ حفرا حتى لا تنسى على مر الزمن، والعزاء مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، إذ ترى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفردية التي هو بصددها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة"[6].

---

[1] – أسعد محمد علي النجار، رائد مهدي جابر: الرثاء عند شعراء الحلة، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العدد 2، المجلد 2، 2012، ص 59.

[2] – فؤاد إفرام البستاني: الشعر الجاهلي، نشأته، فنونه، صفاته، د ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1967، ص 24.

[3] – جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ص 120.

[4] – بشرى محمد علي الخطيب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، مدونة مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، 1977، ص 29.

[5] – زينب بيره جكلي: مظاهر الرثاء في الشعر العربي في العصر العثماني، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ص01.

[6] – ينظر: شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي2، الرثاء، ط4، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ص 5–6.

وعليه "فالرثاء"هو تجربة الحزن والأسى و التفجع في صورة ألفاظ وعبارات محرقة، تعبر عن معاناة صاحبها، لفقدان عزيز عليه، فينظم المرثية معددا محاسن الفقيد ومبرزا فضائله، فتصدع القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة، لتعبر عن صدق الكلمات، النابعة من اشتعال الوجدان.

وبعد هذا العرض الموجز لمعنى الرثاء لغة و اصطلاحا، نتوجه إلى عرض بدايات هذا الفن، والتي امتدت عبر الحضارات القديمة وصولا إلى العصر الحديث.

ثالثا- تطور الرثاء عبر العصور:

1-الرثاء عبر الحضارات القديمة:

"عرف البشر الموت منذ ـ آدم عليه السلام حتى وقتنا هذا، وا لى أن يأتي أمر الله، وقد اقترن الرثاءمنذ فجر التاريخ بصورة أو بأخرى، وعر فت كل الأمم والشعوب بادية ومتحضرة رثاء موتها والوقوف على ذكراهم، والتحسر واللوعة على رجالتها"[1]، لذا يقال أن أول من قال الشعر على وجه الأرض كان" سيدنا آدم عليه السلام"، وقد قال الشعر راثيا ابنه "هابيل" عندما قتله أخوه "قابيل". إذ "يذكر أنه كان لا يولد "لآدم" مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما "قابيل" و"هابيل"، وكان له أخت أحسن من أخت "هابيل"، وأن "هابيل" طلب أن ينكح أخت "قابيل"، فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوج بها، فأمره أبوه "سيدنا آدم عليه السلام" أن يزوجها هابيل فأبى، وأنهما قربا قربانا إلى الله عز وجل أيهما أحق بالجارية، وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما، أتى مكة ينظر إليهما، وكان "قابيل" يفخر عليه، فقال أنا أحق بها منك هي أختي وأنا أكبر منك، وأنا وصي و الدي، فلما قربا قرب هابيل جدعة سمينة،

[1] – عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ط1، وكالة المطبوعات عبد الله حرمي الكويت، 1986، ص 18.

وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها وأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: "لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين"،[1] فجاء قوله تعالى ليثبت صحة الواقعة ويظهر سوءة قابيل بقتل أخيه طمعا وحسدا **"إذ قال الله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)**. صدق الله العظيم".[2]

فحدث أن قتل "قابيل" أخوه "هابيل" بغضا وحسدا، لقبول" الله عز وجل" قربانه دونه، فوقع في الخطيئة، "ولما عرف سيدنا" آدم عليه السلام"بما حدث بكى ابنه "هابيل" فأنشد قائلا":

بكَت عيني وحق لها بُكاها *** ودمـــع العين منهمل يسيـــحُ

فَالي لا أجود بسَكب دمع *** وهابيـــل تضمنه الضريـــــحُ

رمـى قابيل هابيـــل أخلمُ *** ألحد في الثـرى الوجه الصبيحُ

. تغيرت البلاد ومن عليـها *** فوجه الأرض مُغبرٌ كشيـــحُ

تَبدل كلُ ذي طُعم ولـــون *** لفقدكيَا صَبيحُ يا مليـــــحُ

حتى يقول:

عَليه سَخطُ من رب البريا *** وأنت عليك تَليمٌ صريـــــحٌ

فأجيب" آدم عليه السلام":

أبا هابيل قد قتلا جميعـــا *** وصـار الحي بالميت الذبيحُ

---

[1]–ابن كثير الدمشقي،قصص القران،تحقيق الشيخ علي أحمدعبد العال الطهطاوي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2003،ص13.

[2] – سورة المائدة: الاية27–28.

ولجمَ بشرى قدكاَن منهُ ***عَ لى خوف فَ جلمبهاَ يصيحُ "[1]

ليمتد الرثاء إلى حضارات أخرى تلت حضارة أبا البشرية آدم-عليه السلام-، فيرسم معاناة الإنسان في مختلف الشعوب "بصورة تشبه أن تكون سحرا حتى يطمئن الميت في مرقده، ولا تصيب روحه الأحياء من ورائه بشر"[2].

وهو ما نجده في حضارة الشعوب السامية، "وهذا لقب يطلق على الشعوب البابلية والآشورية والعربية والعبرية واليمنية والفينيقية والآرامية وما انحدر منها"[3]، وكلها شعوب "سكنت في تلك البقعة من العالم المحاط بالمياه من جهاتها الثلاث، والتي يطلق عليها العلماء العرب تجاوزا اسم جزيرة العرب"[4]،" وقد جمعت بينها وحدة حضارية من جنوبها المتمثل"باليمن" و"حضرموت" "وعمان" إلى شمالها حيث منابع دجلة والفرات"[5]، فتشابهت العادات وتناقلت التقاليد فيما بينها لتمازج الشعوب واختلاطها، بسبب عوامل عدة، كالتجارة والترحاب، وأهمها الحروب، "فقد أصبح شيئا طبيعيا أن نسمع عن دولة أقيمت ثم سقطت وعن مجد في الشرق قد ازدهر ثم غاب"،[6] فما أكثر انتشار الحروب في تلك الفترة، ربما من أجل الزعامة أحيانا، أو للاستقرار والتعمير أحيانا أخرى، وا ٍن كان من أكثرها استرداد ملك ضائع،" فما أكثر من كان يموت في حروبهم الدائرة على المراعي، فانتشر الرثاء ووجد عند كل الأمم والشعوب بادية وراقية متحضرة"[7]، بمرثيات اشتهرت كما اشتهرت حضارتها فخلدت في أذهان الأجيال تحكي

---

[1] -ابن كثير الدمشقي:قصص القران.ص13.

[2] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي 2، الرثاء، ص 07.

[3] – وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ط3، دار النهضة، القاهرة، مصر، 1945، ص 06.

[4] – علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 140.

[5] – مصطفى الشوري: شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية، د ط، الشركة المصرية للنشر لولجمان، القاهرة، 1995، ص 05.

[6] – عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص 18.

[7] – ينظر: شوقي ضيف: فنون الأدب العربي،الفن الغنائي2، ص 9-14.

أحزان أصحابها، وترثي أبطالها، وتمجد لمدن فقدوها، "فهذه الحضارة السومرية اشتهرت بمرثية شهيرة لمدينة "نفر" وبكائيات على خراب سومر ومدينة "أور" والمسرح الديني السومري"[1].

"وتتألف مرثية مدينة "نفر" السومرية من اثني عشرة مقطعا شعريا تبكي خراب مدينة "نفر" وفيها "يتساءل السومري يلوعة قائلا:

لمـــــــاذا دمرت معـــابد نفر الكـــثير الـــعدد؟

وكم من الوقت سيبقى "ذو الرؤوس السوداء" منهارين

وخائري القوى، يأكلون العشب مثل الخراف ويتأملون في أجسادهم

وأرواحـهم؟ ولماذا نـــرى الموسيقيين والشعـــراء المنشديـــن،

يـــقضون أيـــامهم فـــي الأنين والـــتنواح وهم منـــفيـــون

يحتمل في قلوبهم الحزن على مدنهم المهدمة وعلى عائلاتهم المهجورة

مما يـجعل العقـــل يفقـد تـــوازنه والـــفهم مـــضطربـــــا.

أما فيما يخص مرثية "مدينة أور" و"بلاد سومر" فتختلف عن المرثيات الأخرى في شكلها ومحتواها، حيث تضم كلمات تعبر عن الحزن واضعة المستمع في جو من الكآبة المشتمل على البكاء والنواح وتقع في اثنين وعشرين لوحا تحتوي على أربعة مائة وستة وثلاثين بيت"[2]، كما تنوع الرثاء بين رثاء الأهل ورثاء المدن ورثاء الآلهة، هذه الأخيرة التي تمثلت في "رثاء الإله "ديموز" الراعي عندما سلمته زوجته "أنانا" إلى العالم السفلي، وهناك بعض القصائد السومرية التي تصف "ديموزي" عندما تحسس نهايته، وفي هذا يقول الشاعر السومري"[3]:

الراعـــي كـــان قـــلبه يفيض أســـى

---

[1] – قاسم الشواف وأدونيس: ديوان الأساطير السومرية وأكادو وأشور، الكتاب الثاني الآلهة والبشر، دار الساقي، بيروت، 1977، ص 369.

[2] – ينظر: قاسم الشواق وأدونيس: ديوان الأساطير السومرية وأكاد وأشور، ص 370

[3] – علي فاضل عبد الواحد: عشتار ومأساة تموز، دار الشؤوق الثقافية، بغداد، 1986، ص 122.

ومزماره يتدلى في رقبته وهو يبكي ويـــقول

النـــــواح، أيتـــها المـــــروج النـــــواح

ولتـــــــردد أمـــــي الصـــراخ والعويـــــل

لتذرف عيناي الدمع على المروج مثل أمي"[1]

لتنتهي هذه المأساة التي كتبت فيها أجمل وأشهر المرثيات في مدينة "أور" وبلاد سومر، لما فيها من حزن وشفقة على نهاية البطل، فهذه القصائد وا ٍن كانت أسطورية تتصادم فيها وهم الآلهة وخيال الإنسان، استطاعت أن تخلد الحزن في حضارة المجد.

"وفي الأدب الفرعوني القديم نجد صورا من ذلك قائمة بذاتها، أو متصلة ببعض القصص الأسطورية التي شاعت وانتشرت عند المصرين القدماء، والتي عرف العالم عن طريقها كثيرا من عادات وتقاليد هذا الشعب العريق، ففي ثنايا أسطورة "إزيس" و"أوزيريس" وأخية سيت"، نجد أن 'زيس تبكي زوجها أوزيريس بعد أن قتله" ست" طمعا فيها حتى يفيض النهر من دموعها"[2]، فهاهي الآلهة مرة أخرى تحكي صراعها من أجل القوة في مرثيةر تلها التاريخ عبر صور لاحقة، "فإنه حين اعتدى "سيت" على أخيه "أوزيوس"وقطعه إر با، وألقى به في صندوق باليم بكته إيزيس أخته وزوجته بكاءا حارا، وكان المصريون يبكونه معها في أعيادهم من كل عام، ولا ريب في أن ما نراه الآن في المآتم المصرية من تعداد النساء ولطمهن وتلطيخ وجوههن ورؤوسهن بالطين يرجع إلى أقدم العصور ،كلذلك فيه آثار من آبائنا الأولين "[3] .

[1] صموائيل نوح كريمر:أساطير العالم القديم ،ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1974،ص 89.

[2] – عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص 10.

[3] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي الفن الغنائي 2 الرثاء، ص 09.

أمافيما يخص الحضارة اليونانية، "فقد عرف اليونان القدماء الرثاء وشاع عندهم، فكان له مكان بارز في الشعر اليوناني، إذ اشتهر به شعراء مختلفون مثل "أرخلوكوس" وسافور سمونيدس، ثم نقله عنهم الرومان بين ما نقلوه من فنون شعرهم وألوانه المختلفة".[1]

2- الرثاء في العصر الجاهلي:

"تعتبر الأمة العربية أكثر أمم الأرض ميلا للشعر واحتفالا به، وبالشعر تخاطبوا وتعارفوا وسجلوا معظم العلوم والفنون، وصوروا آلامهم، ونسجوا خيالاتهم وأحلامهم، وكان لهم مع الموت أبعاد ورؤى اختلفت وتعددت قبل الإسلام وبعده، فقالوا فيه ما يبكي ونظموا حوله مايشفى ويريح النفس والفؤاد، وجعلوه أحيانا غاية تتطهر به الروح وترتقي، لذلك فإن شعر الرثاء العربي جاء متنوعا بتنوع هذه المفاهيم"[2]،" ولا ريب في أن الرثاء بدأ عند العرب كما بدأ عند كثير من الأمم الأخرى بصورة تشبه أن تكون سحرا حتى يطمئن الميت في مرقده، ولا تصيب روحالأحياء من ورائه بِشَرٍ ، ثم أخذ يفقد هذه الغاية مع الزمن وما زال حتى انتهى إلى الصورة الجاهلية من الإفصاح عن إحساس الناس العميق بالحزن قبل الموتى، ومحاولة ذكرهم بتمجيدهم وبيان فصائلهم التي ماتت بموتهم، مع التفكير في القدر وقصور الناس أمامه، وعبثه بهم ولعبه بحياتهم، وقد يكون من أقدم صور الرثاء عندهم ما نقش على قبور الأقيال والادواء في اليمن والأمراء في الحيرة وعند غساسنة في الشام، فعلى قبورهم يكتبون أسماءهم وألقابهم تخليدا لذكرهم وتمجيدا لأعمالهم."[3]

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

[2] – عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص 6.

[3] – شوقي ضيف: فنون الادب العربي ،الفن الغنائي2، الرثاء،ص 08.

"ومن أقدم نماذج الرثاء في الشعر العربي قول" امرئ القيس" يرثي أخته وقد بدأ قصيدته بوصف المطر ليستقي كما يقول أخته التي أصبحت بعيدة عنه بحيث لا يصل بنيهما إلا القريض:

أعيد على برق أراه وميض ٌ *** يُضِيء حبيبا شماريخ بيض

ويهدأ تارت سناه وتــارة *** ينوء كعتاب الكسير المهيض"[1]

وهنا يقف الشاعر على قبر أخته يأبن لها يثني على خصالها، مبينا عجزها وضعفها أمام الموت.

وكان للمرأة نصيب من هذا الفن وهي الأكثر تأثيرا، وأرق إحساسا، فهذه "الخنساء تعتبر من هذا النوع من الدرجة الأولى، وكانت لا تنظم شيئا يذكر قبل مقتل أخويها معاوية وصخر، ولكن حين فاجأها نعيهما خرج الشعور من قلبها فياضا فقالت:

يا عين مالك لا تبكين تسكابا *** إذ راب دهر وكان الدهر ريابا

ولم يكن حزنها يهدأ إلا بذكر صخر في الصباح والمساء فتقول:

يُذكرني طُلُوع الشمسِ صخراً *** وأَذكرُه لكلِ غُروبِ شمسٍ

ولولا كثرةُ الباكين حولي *** على إخوانهم لقتلتُ نفسي

وما يبكون مثلَ أخي ولكن *** أُعزي النفسَ عنهُ بالتأسي

فنرى أنها لا تكلف في رثائها ولا تصنع، ولا تميل إلى عرض الحكم العام، المبتذلة، بل هي تكتفي بسرد عواطفها وما يشعر به قلبها، لا ما يفكر به عقلها"[2].

---

[1] – أسعد محمد على النجار، رائد مهدي جابر: الرثاء عند شعراء الحلة، مجلة مركز بابلللدراسات الحضارية و التاريخية، ص3.

[2] – فؤاد أفرام البستاني: الشعر الجاهلي، ص 24–25.

"وطبيعي أن يتفوق النساء على الرجال في ندب الموتى والنواح عليهم لأن المرأة أدق حسا وأرق شعورا"[1].

3-الرثاء في صدر الإسلام:

"نجد أن الرثاء قد تطور في العصر الإسلامي، وأخذ يحمل معاني القرآن الكريم وروحه، وظهرت مفردات جديدة مستمدة من روح العقيدة الإسلامية، من ذلك ألفاظ الشهادة والجهاد والجنة والنار"[2]، وما إلى ذلك من مفردات دخلت الشعر الإسلامي بصورته الجديدة، فتحدثوا بسيرة لم تكن تعرفها الجاهلية، فيها المجد والتقوى والإيمان وفيها الخير والبر والوفاء وفيها الرحمة والهداية والنقاء، وبهذه المآثر الكريمة والمناقب الأصيلة، كانت مصيبة الشاعر "حسان" في فقد" رسول الله "وانتقاله إلى الملأ الأعلى حيث رثاه بقوله مؤبنا:

باالله ما حملت أنثى ولا وضعت *** مثل النبي رسول الرحمة الهادي

ولا مشى َ فوق َظهرِ الأرضِمن ْأحدٍ *** أوفى بذمةِ جارٍ أو بميعادِ

مـن الذي كان نورا يستضاء بـــــه *** مبارك الأمر ذا حزم وا ٍرشادِ

مصـــــدقا للنبيـين الألي سلفـــوا ***وأبذل الناس للمعروف الجـادِ

ولا بد أن نلفت الانتباه إلى الدور الذي لعبته النساء في هذه المعارك،" فقد شاركن فيها بالبكاء على القتلى، وبالتحريض على الانتقام، حين يقتل رجال الأعداء، ظهر منهن إلى جانب قريش"هند بنت عتبة بن ربيعة" ومن شعرها قولها شامتة بقتل "حمزة (رضي الله عنه)":

نحن جزيناكم بيوم بدر *** والحرب بعد الحرب ذات شعر

ما كان عن عتبة لي من صبر *** ولا أخي وعمه وبكدي

---

[1] -شوقي ضيف:فنون الادب العربي، الفن الغنائي2،ص8.

[2] – سعد محمد علي النجار، رائد مهدي جابر" الرثاء عند شعراء الحلة، ص 59-60.

شقيت نفسي وقضيت ندري *** شفيت وحشي غليل صدري.

ومن المسلمات اللاتي أخذنا بهن العزة على الإسلام والرجال المسلمين وكتبن المر اثي في توديعهم، وذكر بطولاتهم،""صفية بنت مسافر" التي بكت أهل القلب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش....و" السيدة فاطمة الزهراء ترثي النبي (صلى الله عليه وسلم):

غبَر آفاق السماء وكَ ت *** شمس الذهار وأظلم العصران

الأرض من بعد النبي كئيبةٌ *** أسفاً عليه كثير الرجفان

فليبْكه شرق البلاد وغربُها *** وليبْكه صوْ وكلُ إيماني

وكان لهذا التطور الذي شهده الرثاء في صدر الإسلام سواء بدخول مصطلحات جديدة أو برقي الأسلوب، ونضج الفكر لدى الشاعر العربي، "أن ظهر لون جديد من الرثاء لم يألفه الشعر العربي من قبل هو ر ثاء الشهداء"[1].

ومن طريف الرثاء في صدر الإسلام رثاء الخمرة، "فقد بلغ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن بعض الجنود في الشام يعاقرون الخمرة، فأمر بإحراق الحانات، فتحسر الشعراء عليها وقام "أبو محجن الثقفي "برثائها قائلا:

لله أن الدهْ يعثُ بالفتَ ى *** وليس على حرف المذون بقادرٍ

صبرت ولم أجْزَعْ وقد مات إخوتي *** ولست على الصهباء يوما بصابر

رماها ايلُ المؤمنين جِ تفها *** فخلاقُها يكون حوَل المعاصرِ ".[2]

وهذه بعض أنواع الرثاء زخرفت الشعر العربي في صدر الإسلام، رغم ما شهدته من تطور في اللغة ورقي في الأسلوب وجمال في التعبير،كما نلحظه أنها أصبحت خالية من رثاء

[1] –سامي مكي العاني:الإسلام والشعر،ص136.

[2] – أبو محجن الثقفي: الديوان،دط ، برعل، 1887، ص 15.

المدن والقصور والحصون، إلا نادرا، وقد يكون السبب في ذلك لما له من صلة بالأصنام والأوثان، أو لأن المسلمين مشغولين بالأحداث السياسية والفتوحات الإسلامية.

4- الرثاء في العصر الأموي:

وهذا عصر آخر ازدهر فيه الرثاء وانتشر، "بانتشار الحروب والثورات بسبب الأحداث السياسية المتلاحقة والفتن التي ولدت مع هذه الدولة، لتوليها الخلافة وتسلطها على الحكم، فظهرت الأحزاب السياسية وانتشرت الفرق الإسلامية بين رافض ومؤيد ومحايد، كالهاشميين والخوارج والأمويين، فأثروا تراثنا الشعري بأشعار كثيرة مقلدين تارة، ومجددين تارة أخرى، ومن أشهر ما قيل في تلك الفترة مرثية من البحر الطويل "في رثاء النفس" لمالك بن الديب" يقول فيها:

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة *** بجنب الغض أزجي القلاص النواجيا

وليتا الغضا لم يقطع الركب عرضه *** وليت العضا ما شاء الركاب لياليا"[1]

أما صراع الأحزاب والفرق ما اشتهر في رثاء "حسان بن جعدة" يرثي قتلى الخوارج ومن بينهم قائدهم "بسطاما":

يا عينُ أذري دموعا منك تسجاماً *** وابكي صحابةَ بسطامٍ وبسطاما

فلن ترَي أبدا ما عشتِ مثلهمُ *** ذُفَى وأكملُ في الأحلامِ أحلاما

إني علمتُ بأن قد أنزلوا غُرَفاً *** من الجنانِ ونالوا ثم خداما

أسقى الإلهُ بلادا حلَّ عرصتَها *** حيا من الوسمِ جاما"[2].

وها هي المرأة مرة أخرى تثبت تفوقها في الرثاء، فهذه "مليكة الشيبانية،التي تبكي واقعها المرير، وفقدان أحبابها فتقول ترثي" الضاحك بن قيس الخارجي":

---

[1] – سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، ص 136.

[2] – سراج الدين محمد: الرثاء في الشعر، ص 25-26.

قُ ولي مَ ليكَ عَ لَيكَ الصبرْ *** تَسَتَ ولي نَ فَ ضلكَ أجرِ

ـ قُولي فإنك غيرُ كَ اذبةٍ *** يا عدتي لنوائب الدَ هرِ

أورثتني كما العيشِ يؤرقني *** لَهفاً وحرارةَ الصَ درِ

ومَ رارةً في العَ يشِ دائمةً *** وحرارةً كحرارةِ الجَ مرِ

ذهبَ الذي كانَ يأمرنا *** بالخوفِ والعروفِ والذكرِ "[1].

5- الرثاء في العصر العباسي:

"ما يزال الزمن يتقدم بنا حتى نلتقي بالعصر العباسي عصر الرقي الفكري والتعميق في الإحساس والمشاعر"،[2] فعاش الناس في رخاء ونعيم واتجهوا لذلك إلى العمران والترف، وكثرة الجواري والمغنيات من الرقيق المحبوب،حتى كان لهن سوق خاص فازدهر الغناء ازدهارا كبيرا ،وشجع ذلك كثرة الشعراء الذين ينظمون للقيام ما شاؤ من الشعر ذي الأوزان والبحور الغنائية".[3] وممن اشتهروا بذلك في العصر العباسي "يعقوب بن الربيع" وكان عشق جارية، وظل سبع سنوات يبذل فيها جاهه وماله حتى تملكها فأقامت معه بضعة أشهر، ثم ماتت، فشعر كأنه كان في حلم وأفاق منه على بؤس، وله فيها ندب كثير منه:

للهِ أنسةٌ فجعَتُ بِها *** ما لي أبعدها من الدنسِ

تلكَ البشارةُ والغيَ معاً *** يا قُربَ مأتمها من العُرسِ

كم من دموعٍ تجفُ من *** نفسٍ عليكَ طويلة النفسِ

بكَّيكِ ما ناحت مطوقةً *** تحت الظلامِ تنوحُ في الغلسِ

---

[1] – سراج الدين محمد: المرجع نفسه، ص 23-24.

[2] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي الفن الغنائي، الرثاء، ص 19.

[3] – ساهر عوض الكفاوين: الشعر العربي في رثاء الدول والأمصار، نهاية سقوط الأندلس، رسالة دكتوراه، إشراف حسن محمد باجودة، جامعة أم القرى، السعودية، 1984، ص 64.

وكأنما كان هناك سياق بين القدر وبين "يعقوب" أن لا ينعم بأمنيته، فلم يكد يظفر بها، ولم تكد تغمر حياته بنور السعادة،حتى فرت من أمام عينيه"[1].

كما بلغ العلم والعلماء مرتبة عظيمة في الدولة العباسية وما زاد في نموها كون الخلفاء أنفسهم من العلماء والأدباء كالمنصور والرشيد والمأمون وغيرهم، وكانوا يجزلون الهدايا للعلماء والشعراء، بالإضافة إلى ظهور الترجمة ونقل علوم الأمم الأخرى إلى اللغة العربية ... وقد ازدهرت بغداد عاصمة الخلافة ازدهارا عظيما، واستمر الحال هذا مدة قرن من الزمان تقريبا"[2]، وا ِذ "بهارون الرشيد" ينكب البرامكة نكبتهم المشهورة، والشعراء يبكونهم ويسفحون الدمع عليهم، وفيهم يقول" أشجع":

كأنما أيامهم كلها ** كانت لأهل الأرض أعيادا

واستمرت الدولة العباسية تشرب نخب الحكم وتنشر الازدهار حتى توفي "هارون الرشيد: سنة 193هـ، وفي رثائه يقول "أبو الشيص" ويمدح ابنه "محمدا":

جرَتْ جوار بالسعـدِوالنَ حسِ **فنحنُ من وحشةِ وفي أنسِ

العيــن تبكــي والسن ضاحكة ***فنحن في مأتم وفي عرسِ

يضحكناَ القلمُوالأمينُ وتبكيناَ *** وفلةُ الإملمِ بالأمسِ "[3].

و حينئذ انتشرت الحروب وساد الفساد في البلاد، وانقسمت بغداد وانقسم أهلها، فلم تفرق الحرب بين صديق أو قريب والتهمت الحروب الأخضر واليابس، وأصبحت بغداد مدينة الازدهار بغداد مدينة الظلم والظلام، "فلم يكن قادتها الأواخر على بصيرة بإدارة هذه الأمة المترامية الأطراف، فأخذ الولاة يطمعون فيهم، ويعملون على الاستقلال بأقاليمهم، فنشأت

[1] – شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 26–27.

[2] – ساهر عوض الكفاوين: المرجع السابق، ص 64.

[3] – سراج الدين محمد: الرثاء في الشعر العربي، ص 33.

القوميات في الغرب والشرق، وأصبح العالم الإسلامي دولا لا تحصى ... وبعد أن كان مقر الخلافة كعبة القضاء أصبح مؤوى المنتفعين، والمعرضين وأصحاب الغايات ولم يعد أحد في أطراف الدولة أو قبلها يسمع للخليفة أو يعي شيئا عنه حتى بدأ الخلفاء يجمعون المماليك حولهم ليحتموا بهم".[1]

وانتهت أحوال هذه الأمة وتوفي الأمين بعد فساد في الحكم وانحراف في الأخلاق وضياع للأموال.

كما انتشر في هذا العصر رثاء الأطفال والنساء، وإن كان رثاؤهم من أصعب أنواع الرثاء، كما يقول" ابن رشيق القيرواني": "من أصعب ألوان الرثاء أن يرثي الشاعر طفلا أو امرأة، ليضيق الكلام عليهما، وقلة الصفات فيهما"[2].

وهذه آخر الأنات نختم بها عصرا، ذاقت به الأوراق، تحكي قصص موتاهم برثاء ملأ صفحات الدواوين والكتب، وإن لم نعرج على شعراء العصر كافة ولم نتناول جميع أنواعه، كمثل رثاء الصديق، فهذا مسلم بن الوليد صديقه إسماعيل البرمكي فيقول:

وإني وإسماعيل يوم وداعه *** لكالغمد يوم الروع فارقه النصل"[3].

6- الرثاء في العصر الأندلسي:

وحتى إذا ما انتقلنا من شرق هذا الوطن إلى غربه، لوجدنا للرثاء سوقا رائجة، ودواوين كثيرة، وبخاصة ما نظمه شعراء الأندلس، حيث نهل شعراؤهم من معانيها أروع الألحان الحزينة، بين رثاء لأهل، ورثاء الزعماء والقادة، أو رثاء لحال الأمة في مدن سقطت ومدن كانت من الماضي، فبرز فن الرثاء وهو يحمل شخصية تعبيرية عن الآلام في فقدان النفس

[1] – عبد الرشيد عبد العزيز سلم: شعر الثراء العربي واستنهاض العزائم، ص 16.

[2] – ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وعلق على حواشيه محمد محي الدين، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987، ص 154.

[3] – مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، د ط، دار العلم للملايين، لبنان، 2011، ص 254.

والوطن"[1]، " فقد بدت الأندلس في نهاية النصف الأول من ق 13/7 وبداية النصف الثاني منه، كالجدار الذي تصدع ثم انهار فجأة، وتوالى الزحف النصراني سريعا على المدن والقرى، والحصون والقلاع،فكانت تتساقط أمامه كأوراق الأشجار في خريف عاصف وعكست لنا المادة الشعرية هذه السرعة، فلم نعد نجد في هذه الفترة رثاء فرديا لهذه المدينة أو تلك، بل أصبح الرثاء عامة لجهة من الجهات أو لكامل بلاد الأندلس، فمن النوع الأول ما قاله "القرطاجي" في رثاء الأندلس:

ما أنس، لا أنس تلك العيس إذ بكرت *** بمثل عين المـــها، عـــون وأبكـــار

أتـــراب غـــانيـــة تغـــني بطلـــعتها *** عن طلعة البدر عين المدلج الساري

بجـــنة الحـــسن من شـــرقي أندلـــس *** قد خيمـــت بيـــن أزهـــار وأنـــهار

أما النوع الثاني من هذا الرثاء فيمثل في رثاء الأندلس جملة، فالمصيبة قد شملت كامل أرض الجزيرة شرقا وغربا وجنوبا، ولم يبق للمسلمين في نهاية النصف الأول من القرن 13/7م إلا سيف على البحر في الجنوبي الشرقي منها، ... وباتت الأندلس اليتيمة وأبناؤها الأيتام بعد ذلك بدون حام، فريسة سهلة ولقمة سائغة وفي ذلك قيل:

وأصبحت من بعدهم فريسة *** لمن بغى، وفرصة لمن بعا

مرآض ما قد كان منها خافيا *** بعد الظهور ظاهرا بعد الخفا"[2]

ومن الفنون التي طورها الأندلسيون واتسع القول فيها رثاء المدن، والممالك الزائلة ومن أشهر هذه الممالك والدويلات دولة بني عباد في إِشبيلية" ودولة بني الأفطس "في بطليوس" وهذا لسقوط الدول الإسلامية وتراجعها هناك.

---

[1] – عبد اللطيف عيسى: شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 20.

[2] – ينظر: حمد الطالبي: الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ط1، ج2، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 1994، ص 214، 215، 221.

7- الرثاء في العصر الحديث:

"أما في العصر الحديث (يبدأ من 1213هـ) استعاد الشعر العربي قوته على أيدي عدد من الشعراء، استطاعوا أن يرفعوا مستواه إلى مرتبة مرموقة، وقد أخذ الشعراء يتعرضون في رثائهمللمناقب الاجتماعية وما أسداه المرثي لنفعه من وجوه بر وا إصلاح، ولعل أهم التلوينات التي أدخلت على المرتبة الحديثة، ما يتصل بالنزعات السياسية والوطنية.

ولم يعد الرثاء مطية للتقرب من الحكام، بل أصبح يتناول رثاء الزعماء والعلماء الذين يعد موتهم خسارة فادحة، والشهداء الذين ماتوا من أجل تحرر أوطانهم"[1]،" فمع مطلع القرن العشرين الميلادي تساقطت مناطق البلقان التي فتحها المسلمون الأتراك، واهتز الشعراء يومئذ لتلك الكارثة، وتآمرت بريطانيا مع الصهيونية فمزقت الخلافة الإسلامية ثم عملت مع فرنسا وا إيطاليا على تقسيم الوطن العربي إلى دويلات، وضعت هذه الحدود القائمة اليوم بين أبناء الأمة الواحدة، فواكب الشعراء تلك الأحداث المحزنة المؤسفة، وبكوا المهانة والأعراض المستباحة وقوافل الشهداء، وهنا فوق هذا الجزء من أرض العروبة، صالت إيطاليا وجالت، فحرقت وحطمت ودمرت وشنقت، فاهتز لذلك شعراء كثيرون[2]، من بينهم الشاعر الكبير أحمد شوقي، "فهذه أدرنة من المدن الهامة في دولة الخلافة، واستولى عليها البلغار سنة 1912 فأنشأ قصيدة مملوءة بالنواح والعبارات على هذه المدينة سماها "الأندلس الجديدة"، إشارة إلى أن الكارثة فيها تجديد لكارثة المسلمين في الأندلس العربية، ولينبش الجرح القديم الذي لم يلتئم مع

[1] – عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، إشراف محمد الأخضر الزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005-2006، ص16.

[2] – عبد الحلم محمد حسين: الرثاء في الشعر العربي، نظريات في الدراسة الأدبية، عدد 5، م3، ص 26.

طول الزمان الذي مضى عليه، وليبين آثار تلك الجروح في جسد الأمة، وأن تصور البعض أنها بعيدة عن لحمه وعظامه، ويقول فيها:

أيا أختَ الأندلسِ عليكِ سلامٌ *** هوتْ الخلافةُ عنكِ والإسلامُ

نزلَ الهلالُ عن السماءِ فليتها *** طويتْ وعم العالمين ظَلامُ

حتى يقول:

صبراً أدرنةً كلُ ملكٍ زائلٍ *** يوماً ويبقى المالكُ العلامُ

حفتْ الآذان فما عليكَ موحدُ *** يشعى ولا الجمع لُسان تُقامُ "[1]

"وليس ببعيد ما حدث لفلسطين العربية، منبت الأنبياء وملتقى مسراهم ومقر القبلة الأولى للمسلمين، ودرة عمرهم الغالية، فقد سقطت في أيدي اليهود والصهيونيون والطغاة، وشرد أبناؤها في ربوع العالم، وتوالت عليهم، وعليها المصائب والمحن، وندبها الشعراء وبكوها... وبحت أصواتهم وهم ينادون عن المشارق و المغارب أن يهبوا لنجدة الأرض الغالية المقدسة، وحتى الآن نسمع من الإذاعات "نداء الفداء" لعلي محمود طه" يقول:

أخي إن في القدس أختا لنا *** أعد لها الذابحون المدى

أخي قم إلى قبلة المشرقين *** لتحمي الكنيسة والمسجدا

فلسطين يفدي حماك الشباب *** وجل الفدائي والمفتدى"[2]

كما انتشرت أنواع كثيرة في الرثاء، كرثاء الزوجة والصديق والزعماء وغيرها، "ولئن ثابر الشعراء المعاصرون على العناية بهذا الباب فإنهم تحاشوا قدر استطاعتهم التهويل، والإغراق في التفجع، وعبروا أحيانا عما يحسون بأساليب رقيقة وفنية معا؟".[3]

---

[1] – عبد الرشيد عبد العزيز سلم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص 19–20.

[2] – عبد الرشيد عبد العزيز سلم:المرجع نفسه، ص 20–21.

[3] – جبور عبد الثور: المعجم العربي، د ط، دار العالم للملايين،بيروت، لبنان، ص 180.

فهذا "محمود البارودي" يرثي زوجته:

يا دهر فيم فجعتني بخليلـــــة *** كانـت خلاصة عدتي وعتـادي

وا ٍن كنت لم ترحم ضناي ببعدها *** أفلا رحـمت من الأسى أولادي

أما رثاء الأصدقاء فقد كانت له مكانة واسعة لدى هؤلاء فيرثي "إبراهيم ناجي أحمد شوقي":

قلْ ليلنَ بكوا على شوقــي ***النادبين مَصارعهم ْ الشهُبَ ِ

والهفتــلة لمجردِ الشـــــرقِ ***ولدولةِ الأشعـلو ِ والأدب." [1]

وهذه بعض الأنواع التي انتشرت في العصر الحديث، وشاعرنا الكبير "محمود عباس العقاد" من هؤلاء الذين أبدعوا في الشعر كما أبدعوا في النثر، وفي جميع أغراضه، والرثاء أحد أهم هذه الأغراض، فقد نوع فيها بين رثاء الأصدقاء والأحبة والنفس والزعماء والوطن، وهذا ما سنتناوله في الفصل الأول.

[1] – سراج الدين محمد: الرثاء في الشعر العربي، ص 50.

الفصل الأول: موضوعات الرثاء في شعر عباس محمود العقاد

أولا: ترجمة الديوان

ثانيا: رثاء النفس

ثالثا: رثاء الأصدقاء

رابعا: رثاء الزعماء

توطئة:

وفي هذا الفصل عقدنا العزم على دراسة موضوعات الرثاء لدى الشاعر وتقسيمها، حسب أنواعه، مع الإشارة إلى تطورها عبر العصور، فكان لبد لنا أن نقوم بترجمة للديوان المدروس "عابر سبيل" أولا، ثم البدء في هذه الدراسة، من خلال استخراج المرثيات من ديوانه:

أولا: ترجمة الديوان:

أصدر" العقاد" ديوان غريب على ما كان شائعا سماه "عابر سبيل" صدر عام"1936 وكان عمر الشاعر حينذاك "48 عاما"، وقد احتوى الديوان على "120" قصيدة متنوعة الأغراض قدمها العقاد في الشعر لم يكن مثل شعر معاصريه، بل كان نموذجا يتحدى لدى متلقيه قدراته كاملة، وفي مقدمتها عقله ووعيه وفكره، وقدرته على التأمل والتجريد، فلم يكن هذه النموذج مسرفا في العاطفية كشعر الرومانسيين، ولا مسرفا في الجلبة والجهارة والعناية بالفخامة كنموذج "أحمد شوقي" ومعاصريه، وليس هو شعر الحواس الظاهرة والقشرة الخارجية بقدر ما هو شعر المشاعر والعواطف العميقة، وكان شعر اليقظة والوعي لا شعر الغيبوبة والحلم"[1].

قال عنه شوقي ضيف" محاولة من نوع جديد لم يسبق له ولا لغيره من شعرائنا أن حاولوها وأصرفوا شعرهم إليها، فقد كان الشعر عندنا أو مازال يقوم على الذكريات وانتقاء الموضوعات هذا ينظم في الريف أو في الطبيعة، وذاك ينظم في الحب والغزل،..."[2].

فالديوان يختص بالموضوعات اليومية العادية المبتذلة، وفيها الخيال العجيب، والعاطفة المهتاجة، والتصور الحي، والإيحاء البارع والبناء المحكم المتين، والفكر العميق، وذلك إلى جانب الموسيقى التي تستطيع بلمحة واحدة أن تحيط بنظامها والتي تكاد أن تقطر من الأبيات من فرط امتلائها به"[3]، فقد "اعتنى العقاد بأسلوبه عناية واسعة تقوم على الأوزان العروضية القديمة، فميدان تجديده الشعري كان في المعاني دون الألفاظ والعروض، وقد استوعب في شعره الفكر الغربي، وهو شعر متصف بالوحدة العضوية أحيانا بالإضافة إلى التأملات

---

[1] – هيثم خوجة: عباس محمود العقاد، شاعر العقل والوجدان، أمسية شعرية ثقافية، بجامعة الفيروز رأس الخيمة، الإمارات، 03 مارس 2014، ص2.

[2] – شوقي ضيف: مع العقاد، ط3، دار المعارف– القاهرة، ب ت، ص98.

[3] – إبراهيم عوض: في الشعر العربي الحديث، تحليل وتذوق، د ط، المتاجر للطباعة والكمبيوتر، مصر، 1426هـ–2006م، ص 111.

والتوليدات الفكرية، وهو يخضع ذلك كله للمنطق خضوعا شديدا قاسيا، ففي الديوان يرى "العقاد" أن كل شيء في حياتنا اليومية صالح ليكون مادة للشاعر، يستنبط منها القصائد والمقطوعات"[1]، "وعلى هذا الوجه يرى"عابر سبيل" شعرا في كل مكان إذا أراد يراه في البيت الذي يسكنه وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارات التي تحسب من الأدوات المعيشة اليومية، ولا تحسب من دواعي الفن والتخيل، لأنها كلها تمتزج بالشعور صالح للتعبير واحد عند التعبير عنه صدى مجيبا في خواطر الناس"[2].

فنجد "العقاد" قد نوع عناوين قصائده في هذا الديوان بين"بيت يتكلم، أمام قفص جيبون، الدينار في طريقه المرسوم،كواء الثياب، المصرف، عسكري المرور،بعد صلاة الجمعة، وفتنة الصور المتحركة، ذكرى سيد درويش، مسألة الذوق، عزاء، الجنس، الاستعمار،... وغيرها، ملما بجوانب الحياة جميعا اجتماعية كانت أو سياسة أو اقتصادية، فأينما يذهب هناك إحساس يبعث فيه الرغبة في كتابة الشعر، ومن خلال هذا الديوان يفجر "العقاد" ثروته الشعرية الكبرى عندما يقرر أن كل شيء فيه شعر، وفي ذلك يقول إن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معنى "شعريا" تهتز له النفس أو معنى زريا تصدف عنه الأنظار وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعرا كانت فينا حياة أو كان فينا نحوه شعور.

فليست الرياض وحدها والبحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة و استجاشة الخيال، و إنما النفس التي لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر أو كالهدم الذي يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والباقلاء. كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا وتتخلله بوعينا ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر، لأنه حياة وموضوع للحياة"[3] وعلى هذا المبدأ يجب أن يكون تصور كل شاعر، فيكون بذلك الشعر مرآة لصاحبه أو صورة بيئته و عصره وزمانه، "فالعقاد"يدعوا الشعر أن يخرج من نطاقه التقليدي الضيق الذي كان يرضي به طائفة محدودة من الأمة ويخرج إلى نطاق الحياة الفسيح الذي

[1] – محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص:354.

[2] – عباس محمود العقاد، عابر سبيل، د ط، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، مصر، يناير 1998، ص5.

[3] – المصدر نفسه: ص4.

يأخذ منه كل فرد في الأمة بحظ ونصيب"[1] وفي ذلك يقول أيضا "فإذا تعودنا أن تشعر بما حولنا حق الشعور وأن نخلع على اليوم الحاضر ما كنا نخلعه على الزمن الماضي من سرابيل الجمال والخيال استطعنا أن نقشع عن أبصارنا غشاوة الماضي دون أن نجعل التفاهة نتيجة لأزمة لانقشاع تلك الغشاوة"[2].

وإن هذه الرسالة التي يحملها "العقاد" فديوانه لسامية، صادقة تحمل هدفا، ذا قيمة حضارية، أساسها التجديد، لإنكارا لمجهود القدماء وإنما تماشيا مع روح العصر، ورؤية حداثية، جعلت من "العقاد" يرتقي بمفهوم الشعر ليكون ثقته من تقتاد الروح الإلهية، نفثة تفتح للشاعر أسرار النفس الإنسانية، كي تحولها إلى أناشيد فياضة بالأحاسيس والمشاعر يتلقاها عنه الناس وكأنها فصلت من نفوسهم.

و أنه من خلال تفحصنا لهذا الديوان–عابر سبيل– وجدنا أن الشاعر "عباس محمود العقاد" ومن خلال قصائده المتناولة فيه، والتي تظمنت في غرض الرثاء، انقسم إلى قسمين:

1– رثاء طغت عليه الفلسفة التأملية في حقيقة الموت والنفس الإنسانية والمصير المحتوم وقد اتسم بصدق العاطفة ونحى منحنى وجداني حيث إنسابت قصائده إنسيابا عفويا لأنها صادرة من قلب أثقله رحيل الأصدقاء والأحبة، "فقد تحدث في شعره عن الإنسان وعن سر وجوده وعن عجزه عن معرفة سر الكون الغامض وعن حاجته إلى الإيمان، كما عبر عن كثير من خوالجه وتأملاته"[3]، فالشاعر في بعض قصائده لم يكتف بمجرد التصوير الحسي، وإن لم يكن هذا بالشيء القليل، بل سما من ذلك إلى آفاق أعلى وأرحب، وخلع على هذه الموضوعات ثوبا فلسفيا جميلا دونما تمل أو تكلف، مما زاد هذه القصائد غنى على غنى"[4]، فجاءت بشاكلة خواطر إنسانية اعتبرها البعض رمزا من التعقيد.

2– أما القسم الثاني فقد جاءت فيه بعض القصائد الرثائية، تقليدية بعض الشيء، فيما سلكه الأولون في رثاء ملوكهم وزعمائهم وغيرهم من تلك الفئة،" وقد استغل هذا المضمون في شعره الاجتماعي، فهو عندما أراد يدعوا مواطنيه إلى العزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف

---

[1] – هيثم خوجة: عباس محمود العقاد، شاعر العقل والوجدان، ص2.

[2] – عباس محمود العقاد: عابر سبيل، ص8.

[3] – محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات الأدب العربي الحديث ومدارسه، ط1 ، ص:36.

[4] – إبراهيم عوض: في الشعر العربي الحديث، تحليل وتذوق، ص103.

موقف الواعظ"[1]، من سقوط كلمة الحق بسقوط زعمائها، بل رثى هؤلاء وبقي على معتقدهم الذي صار معتقده، فجأة عاطفته صادقة تعبر عن وعي في رؤية.

وإن كلامنا هذا لا يعتبر مبالغا فيه أو مدحا "للعقاد"، بل هو ما اعتقدنا أنه حقا فيه، ولا ندعى أيضا بالمثالية في شعره فكما يقول "إبراهيم عوض" في كتابه"في الشعر العربي الحديث، تحليل وتذوقا" تقييما لهذا الديوان "ولا يقدح طبعا في شاعريته العظيمة أن عددا قليلا من القصائد في هذا الديوان جاءت فاترة، فليس هناك شاعر واحد في الدنيا كلها ّ إلا و بعض شعره ضعيف متهافت"[2].

و انطلاقا من دراسة قمنا بها على الديوان نجد أن الرثا كغرض شعري، قليل الاستعمال، والموضوعات محدودة، إلا أننا استطعنا أن نحصرها فيما يلي:

1- رثاء االنفس: وذلك من خلال قصيدته "على أطلال الدنيا".

2- رثاء الأصدقاء: من خلال قصيدته"رثاء غانم".

3- رثاء الزعماء: من خلال قصيدته "فاز سعد".

ثانيا: رثاء النفس:

كما أسلفنا الذكر فإن الرثاء أقدم أغراض الشعر العربي، "إذ يجمع كثير من المؤرخين أن أول قصيدة قيلت في الشعر العربي كانت في الرثاء"[3]، فهو باب من أهم الأبواب في الشعر العربي، وقد انحصر في ألوان ثلاثة، كما ذكرنا في المدخل وهي "التأبين" والندب "والعزاء".

أما" التابين" فهو" الثناء على الشخص حيا أو ميتا، ثم اقتصر على الموتى فقط وفيه إشادات بالميت ومناقبه، لأنهم يبكون فيه نموذج من المروءة والرجولة والكرم والشجاعة، وكل الخصال الحسنة"[4]، ويقصد بالندب "النواح والبكاء على الميت بالألفاظ المحزنة والعبارات المشجية، التي تصدع القلوب وتذيب العيون الجامدة إذ يولون الباكون ويصيحون مسرفين في النحيب وسكب الدموع"[5].

---

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات الأدب العربي الحديث ومدارسه، ص 35.

[2] – إبراهيم عوض: في الشعر العربي الحديث، تحليل وتذوق، ص 103.

[3] – محمد بن سلامة الجمحي: طبقات فحول الشعر، دار الكتب العلمية – بيروت، 1980، ص 22.

[4] – منجد مصطفى بهجت: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د ط، د ت، ص135.

[5] – المرجع نفسه، ص 135.

أما العزاء فمعناه واضح وجلي" وهو الصبر على كارثة الموت والمواساة يفقد الميت العزيز طالما كان الموت سنة يخضع لها الكون، ولا محيص عنه"[1].

وا ٍذا ما أخذنا بالندب في هذا الجانب من دراستنا ألا وهو" رثاء النفس" إلا على اعتبار أن الشعراء "يندبون أنفسهم حيث تحين ساعة الموت، ولا يجدون لهم ملجأ و لا عاصما"[2]، فقد أدركوا أن الرحيل قريب، و أن المنية تطرق أبوابهم، و أن مصيرهم إلى حفرة مظلمة يشيعهم إليها الأهل والأحباب، وتأتي أناتهم حائرة شجية حين يذكرون ذنوبهم، فيخافون ربهم، ويشفقون من لقائه"[3]، فالشاعر في خضم مأساته يتذكر ما آلت إليه نفسه، من آلام سجن أو مرض أو فقدان عرش، هذا الماضي الذي يلح عليه في لحظة كئيبة فيصرخ باكيا نفسه متذكرا ماضيه السعيد حيث الشباب والعز والجبروت ومعتبرا من حاضره البائس الحزين الذي لا حول ولا قوة له فيه، متاهة يصعب الرحيل منها، وفي هذه الحالة"يدرك الشاعر أن حياته الدنيوية قد انقطعت أو دانت، وأن الناس سيسيرون بعد مواراة جثمانه سيرتهم الأولى"[4]، فيعبر عن إحساسه بمشكلة من أعظم المشاكل التي تواجه البشرية، ونبعث فيها التأمل والبحث عن إجابات كثيرة لتساؤلات محيرة، فيأسف عن ماضية ويعاني من الحاضر ويتألم للمستقبل المجهول، "إنه يبحث عن مهرب ينجيه من حدة الشعور بالغربة والقلق إزاء النهاية المجهولة المحزنة التي يقضي حياته بانتظارها لأنها الحقيقة الثابتة في الحياة، فالشاعر يبكي المصير الإنساني ويتحدث عن غربة الإنسان"[5].

ونعود إلى الوراء في أدبنا العربي فإننا لا نجد كما كبير من القصائد التي قيلت في رثاء النفس، مقارنة مع قصائد الرثاء العادية، فهي ـ قصائد رثاء النفس ـ لا تمجد المرثي وتعدد محاسنه و إنما تصور معاناة ذاتية للشعراء، وفي وقت عصيب يعيشونه، وخاصة عندما تتراءى أمامهم المنية، والإحساس بقروب الساعة, وكثيرون هم الشعراء الذين ندبوا أنفسهم وبكوها منذ العصر الجاهلي، يقال إن أول من بكى نفسه وذكر الموت على لسانه "يزيد بن خراق" إذ قال:

---

[1] –منجد مصطفى بهجت: المرجع نفسه، ص135.

[2] – شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن الغنائي2 ،الرثاء، ص: 32.

[3] – عبد الرشيد عبد العزيز سالم:شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص16.

[4] – زينب بيره جكلي: مظاهر الرثاء في الشعر العربي في العصر العثماني، ص3.

[5] – محمد أحمد عدنان: قراءة في مرثية مالك بن الريب، الموقف الأدبي، ع 303، 1996، ص 91.

هل للفتى َمن بنات ِ الدهر ِمن ْ واق ٍ ***أم هل ُله ُ في ِ حمام ِ الموت ِ من راقي ِ
قد رجلوني ِ وملـ ـبالشعر ِمن شعث ٍ ***وألبسوني ِ ثيـ ـبا ًغير َ أخلاق ِ
أروح ُ فيه ِمن ْ بيتهم ْ حسـ ـبا ً ***ليسند َوا في ِ ضريح ِالقبر ِ أطبـ ـاقي ِ

وطبيعي أن يندب الشعراء أنفسهم وهم يفارقون دنياهم من ورائهم إلى حفرة مظلمة، إنما ساعات تخرج ويخرج المشيعون من حولهم وورائهم، يحملون نعوشهم إلى قبورهم، ويدفنونهم في لحودهم ويوارونهم التراب ويعودون، ليتم كل منهم دورته في حياته.

وكانت تعظم المصيبة على الشاعر حين يجد نفسه غريبا عن وطنه وديار ه، ويترك به الموت ولا يجد مفرا من لقاءه، وينظر حوله، فلا يجد أحدا من أهله، فليس معه من سيشيعه ولا من سيحفر له لحده، ولا من سيبكيه ويندبه، ومن خير من صور الألم لذلك "مالك بن ر يب" الذي غزا في" خرسان"، فلما حضرته منيته ناح في نفسه قائلا:

ألا ليت َشعري هل ْ يبيتَن ّ ليلـ ـة ً ***بجنب ِ الغضا َ أزجي ِالقلاص َ النواجيا َ
فليت َ الغضا َلم يقْطع ِ الركب َ عرضه ُ ***وليت َ الغ ُضا َماشي ِ الركاب ْ لياليـ ـا َ
قد كان َ في أهل ِ الغضا َ لودنا الغضا *** مزار ولكن الغضا ليس دانيـ ـا"[1].

"حتى يقول:

و ما كان َ عهد ِ الرمل ِمني و أهله ُ ***ذميما ًولا بالرمل ِ ود َعت ْ غالياً
يقولون َ لا تبعد ْ وهم ْ يدفنوني ِ *** وأين مكان البعد ِ إلا مكانيـ ـا َ

والمرثية طويلة وكلها شكوى وبكاء وأنين، لا من أجل الموت فحسب، بل للموت البعيد فهو يموت غريبا من الرمل، وأهله، لم تغمض عينيه أمه ولا أختاه ولا ابنته ولازوجه، وا ِنه ليذكر الغضا ذكرى مؤلمة، إذا كان مكتمل الصحة والشباب يدفع النوق أمامه، ولا وحدة ولا غربة، إنه يتمنى لو انه لم يفارق الغضا ولا أهله، إذن ما غالت "خراسان" هامته، ولكنها الفتوح الإسلامية، وهو يخرج مجاهدا في سبيل الله مع المجاهدين، وقد ترك وراءه أسرته قرير العين، غير أن الفراق صعب ولم يكن يعلم حين ودعهم أنه الوداع الأخير"[2].

[1] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي2،الرثاء، ص: 30-31.

[2] – سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، ص 137.

هناك أسباب كثيرة دفعت الشعراء لرثاء أنفسهم والبكاء عليها، والتحسر على الماضي، ونمضي إلى صدر الإسلام، فنجد الشعراء يكثرون من نوح أنفسهم، وخاصة أنهم يذكرون المعارك وشهداءها، وهو نوع جديد يرتبط برثاء النفس "ومثل هذا اللون من الرثاء قصيدة الشاعرةكثير عن العزيز ة النهشي"، في رثاء الشهداء المسلمين بمعارك "الصالقان" وجوزجان" من أر ض فارس، في عهد "عمر بن الخطاب"حيث أودعها ر ثاء رائعا لنفسه، عندما أحس بدنو أجله، بعد أن افتقد أصحابه من الشهداء وهو متأكد من حتمية الموت، منها:

فـــــلا تستبعدا يومي فإني *** سأوشك مرة أن تفقدانـــــي
ويدركني الذي لا بـــــــه ***وا ِن أشفقت من خوف الجنان
و تـبكيني نوائح مـــعولات *** تركن بدار معترك الزمـــــان

حتى يقول:

فردا الموت عيني إن أتاني ***ولا و أبيكما لا تفعلان

فهو يختم قصيدته بخلاصة فلسفة الشاعر في موقفه من الموت، وهي فلسفة الإسلام، ونظرته إلى حقيقة الموت، وأحقية وقوعه[1].

وثمة لون جديد من الرثاء استحدثته الحياة الإسلامية الجديدة وما ساد فيها من مفاهيم الدين الإسلامي، حيث كان يرثى الشعراء المسلمون ما يفقدون من أعضاء جسدهم في ساحات القتال، والمعارك الفتح، وهو رثاء مفعم بالاستهانة بفقد تلك الأعضاء واحتسابها في سبيل الله، والفخر بما أوقعت بالأعداء قبل فقدها، فلما فقد "عثمان بن مطعون" عينه من لطمة أو دت بها، قال:

فإن تك عيني في رضا الرب نالها *** يدا ملحد في الدين ليس بمهتد
فقد عوض الرحمن عنها ثوابه *** ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد

وفي فتح بلاد فارس يطعن "علياء بن جحش العجلي" في بطنه، تتدلق أمعاءه فلا يجزع، ولم تتردد، ودفع بها إلى داخل بطنه، وانشد وهو يجود بأنفاسه الأخيرة:

أرجو بها من ربنا ثوابا *** قد كنت ممن أحس الضرابا"[2].

---

[1] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي،الفن الغنائي2، الرثاء، ص31.

[2] – سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، ص137–138.

فما ميز"رثاء النفس" في صدر الإسلام أو العصر الأموي، على حد سواء هو ترديد الشعراء لمصطلحات إسلامية، تعبر عن الإيمان بحق الموت، و الاستسلام لها، بل ومقابلتها بالفرح والسرور، متشبعة بروح الإسلام التي تسودها روح الرضا والصبر والطمأنينة التي أشاعها الإيمان الجديد في نفوس أتباعه.

"ونمضي إلى العصر العباسي فنجد الشعراء يكثرون من نوح أنفسهم، وخاصة أنهم يذكرون ذنوبهم فيخافون ربهم، ويشفقون من لقائه، فينطلقون واجلين معلنين التوبة والاستغفار مما قدمت أيديهم، و"لأبي نواس":

يا ربّ إن عظمتْ ذنوبي كثرة ** فلقد علمتُ بأن عفوكَ أعظمُ
وإن كان لايرجوك إلا محسنٌ ** فمن الذي يرجوا المسئ المجرمُ
ما لي إليك وسيلةً إلا الرجـــا ** وجميل عفوك ثم إني مسلمُ

لقد أظلمت الدنيا و ادلهمت في عين" أبي نواس" حين نزل به ريب المتون، ففزع إلى ربه يعلق به أمله، ويرجو منه أن يسدل ثوب الغفران على ذنوبه وسيئاته التي اقترافها، ويشمله بعفوه وإحسانه، ويكثر الشعراء العباسيون الذين صاحوا هذه الصيحات حين طرقت المنية دورهم، و"لأبي العتاهية" هذا الدعاء[1].

إلهي لا تعـــــذبني فإني *** مـــقر بالــذي قد كان مني
ومالي حـــيلــة إلا رجـائي *** لعفوك أن عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البرايا *** وأنــت عليَّ ذو فضل ومنّ

حتى يقول:

يظن الناس بي خيرا وإني *** لشر الخلق إن لم تعف عني"[2].

أما الجانب الآخر من هذا العصر نجد"الأندلس" حافلة بهذا النوع من الرثاء إذ نجد أن العوامل السياسية والاجتماعية تلعب دورا هاما في تحفيز" رثاء النفس "فهذا شاعر خاض معركة الحياة فانتصرت عليه وانتصر عليها ولكنها خطفت أترابه وأصحابه تباعا، فبكاهم وبكى نفسه

[1] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي،الفن الغنائي2، الرثاء، ص32.

[2] – المرجع نفسه، ص32.

معهم، وآخر فقد ملكه بين ليلةٍوضحاها، فوجد نفسه تذوب من الأسى، وا نها للحظات مأساوية يعيشها الشاعر، وهو يشعر بالموت يقترب، فيعبر عنها بصدق واضح فقد"أظهرت بعض النصوص حالات الضعف واليأس والانكسار التي كانت تسود المجتمع الأندلسي في بعض الحقب التاريخية، وفي بحر الظروف الاجتماعية والسياسية القاهرة وهو أمر دعا الشعراء الأندلسيين إلى التزام الجانب الروحي بشكل أكثر شمولا للتخفيف من حدة الجانب المادي وفظاعته وثقله على النفوس، والتعبير عن الإسلام للموت، وشأنهم في ذلك هو شأن باقي أفراد المجتمع في مثل هذه الظروف، يقول "أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود":

قَالوا ألا تستبيدُ بيتــاً ***تعجبُ من حسنه البيوتُ

فقلت ما ذلكــم صواب ***خفَشٌ كثيرٌ لمــن يمـوتُ

لولا شتــاء ولفح قيظٍ ***وخوفُ لصٍ وحفظ قــوت"[1]

ولكننا لا نستطيع أن ننكر دور الجانب المادي في" رثاء النفس" فهو جانب مهم يؤثر في شخص الشاعر الأندلسي، " فلم يقتصروا على إظهار الجوانب الروحية السائدة في المجتمع الأندلسي فحسب، بل تجاوزوا ذلك إلى إظهار جوانبه المادية"[2].

فسجلوا جوانب يمكن الفقر المادي من المجتمع، في بعض العقب الزمنية، وقد تجلى ذلك من خلال رثاء بعض الشعراء لأنفسهم بدو افع الحاجة المادية، أولا لانقباض الناس عنهم أو انقباضهم عن الناس للدافع نفسه.

يقول " ابن جبير":

ربِ إن لــم تؤتنــي سعة *** فاطوعني فضلة العمر

لا أحب اللبــث في زمــن *** حاجتي فيه إلى البشر"[3].

وقد رافق هذا الحزن شعور بالرضى، فالشاعر ينوح ويندب لكنه راض بما حل به، إلا أن شقاءه في الدنيا، وعبئ توسله وتوسله للناس، جعله يرثى نفسه، ويستأنس مفارقة الحياة

[1] – مقداد رحيم: رثاء النفس في الشعر الأندلسي، د ط، جهينة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، س 1433–2012م، ص 21–22.

[2] – المرجع نفسه، ص 22.

[3] – المرجع نفسه، ص22.

فهو يجسد صورتين مختلفتين: الأولى صورة الشاعر الحزين المغلوب، المؤمن بقضاء الله وصورة الشاعر اليأس المتذلل والذي قهره الفقر، فلا يجد بدا من التسليم و الانكسار.

أما النوع الآخر والذي شاع في رثاء النفس خاصة في العصر الأندلسي، وهو أن يكتب الشعر اء على قبورهم أبياتا فيها أحيانا دعاء، وفيها أحيانا أخرى ذكر الموت والفناء وأن أحدا لا يقيم في دار الأولى، بل الكل راحل، ويقال أن "أبا العتاهية" أوصى بأن تكتب على قبره الأبيات الأربعة:

لِكُلِّ حَيٍّ تُتَوَقَّعَى ** سَلِيْعَةٌ عِي وعِـــي
رَأنَاهَنْ مُبضَجْعَـِي ** فَاحذَرِي مِثْلَمَصْرَعِي
عِشْتُ تِسعِينَ حِجَّةً ** ثُمَّ لَدتنـــيلِمَضجَعِي
سِلْزَادٌسوِى التقِي ** فَخُذِّي منهُ وأُدعَِي[1].

وكانت هذه الكتابة منتشرة في العالم الإسلامي كله، ويظهر الأندلسيين الاهتمام نفسه.

"فابن الخطيب" يرثى نفسه:

بعدنلوَ إنْ جاورتناَلبيوتُ ***وجئناَبوعظٍونحنُصموتٌ
و أنفلسناَ سكتْ دفعـــةً ***كجهرِ الصلاةتلاهُالقنوتُ "[2]

"وفي كل مكان من العالم العربي نجد الدب والنو اح، فالمأساة واحدة، وكل يزيد فيها سطر أسود حزينا.

ولعل شاعرا عربيا لم يرثي نفسه ويبكيها، كما رثى في عصرنا نفسه وبكاها" أبو القاسم الشابي"، الذي عصف به مرض القلب وهو في ريعان شبابه، فعاش يبكي نفسه ويندبها، ندبا حارا لا في مرثية أو مرثيتين، و إنما في ديوان حافل بألوان الشجي والأسى، وصف فيه كيف أوصد المرض الأبواب والنوافذ عليه فلم يعد يرى إلا هاويته وحفرته، بل إن هذا المصير الذي لابد وافد عليه ومنته إليه أصبح يطلبه، إذ يرى فيه منجاته من أوصابه وآلامه، وهو يسمى هذا المصير "الصباح الجديد" وفيه يقول:

سأُكْتُدِي يـــــلَ جرِاحُ ***واسكني يا شجونْ

[1] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الرثاء، ص32–33.

[2] – شوقي ضيف: المرجع نفسه، ص33.

مات َعهدُ النواح ْ ***وزمان ُالجنون ْ
و أطل َالصباح ْ ***من ْ وراء ِالقرون ْ

فساعة الخلاص قد دنت، وآن له أن يدفن آلامه، ويفرق أحزانه في خضم اللانهاية فقد دعاه الصباح، ولم يعد الظلام يستطيع أن يلف جسده في ظلال الألم، إنه راحل وهو سعيد:

الوداع الوداع يا *** جبال الهـــموم
يا ضباب الأسى *** يا فجاج الجحيم

وعلى هذه الشاكلة ما زال الشعراء قديما وحديثا يبكون أنفسهم ويدعون ربهم في ساعات احتضارهم، وحين يرون الستار يوشك أن يستدل على قصة حياتهم"[1].

وا ِذا ما عدنا إلى شاعرنا، صاحب الديوان" محمود عباس العقاد" نجد يرثى نفسه في قصيدة سماها"على طلال الدنيا" وا ِن تتبع حياة "العقاد" نجد أن لهذه المرثية سببين رئيسيين أولهما العزلة التي كان يعيشها ونشأته في جو متحفظ معزول، جعلته يواجه أو بالأحرى يصتدم بالواقع الآخر في هذه الحياة, أما السبب الثاني فهو أن "العقاد" لم يعرف الجو العائلي، من زوجة أولاد أو كلمة الأب، التي تبعث الحب في قلب الرجل، كما تبعث الأمل في الحياة لتنتهي حياته وهو يتأمل خسارته، ويتعذب في وحدته، إلا أنه كان مقتنعا أن هذه الدنيا فيها كثير من العذاب والقلقل فامتنع عن الزواج و الإنجاب حبا ورأفة بنسله.

أما السبب الأول فلبد أنه نتاج "ميله إلى الإنفراد والعزلة، ولم يكن ذلك بسبب عقدة نفسية، ولكنه ورث طبيعة الانطواء عن والديه، وكان يشغل وحدته بالقراءة والكتابة، ولم يكن يوما من الأيام في عز له عن أحبائه و أصدقائه"[2].

كما أن العصر الذي كان يعيش فيه جزء مهم في بناء شخصيته فقد كانت طبيعة عصره"مليئة بالقلق والتردد واليأس، فقد فتح عينيه على بلاده التي تجثم تحت أقدام الاحتلال الإنجليزي، وأهل البلد لا يتوانون في مطالبة حقوقهم، وتروح المستعمر عنها، بالإضافة إلى ذلك فهو يرى ويسمع عن الصراع العالمي الدامي، إذ تنذر سحب الحرب العالمية الأولى بشر مستطير وأمر خطير، فقد أصبح الناس في هم و يأس من الغد الذي لا ينبئ بأمن ولاستقرار"[3]

[1] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي،الفن الغنائي 2 ،الرثاء، ص34.
[2] – محمد محمد عويض: عباس محمود العقاد، قطرات من بحر أدبه، ص7.
[3] – بحدية الهاشمي: العقاد. شاعرا وناقدا.

فساد الغضب في نفسه، ومرض عقله من حال أمته بين شتات الأخلاق والدين والوطن، فقد رأى من الناس عوج لم يحمل عليه فيذكر أحد طلبته في قصة له، وهو غاضب من حال الدنيا وما فيها، انه قال: ما هذا الكون؟ ما هذه الدنيا؟...أعطيني المادة الأولية لهذا الكون و أنا أصنع لك واحدا أفضل منه!

وكنا نتصور أن السقف سوف يقع فوق رؤوسنا....أو يتهدم الكون لمثل هذه العبارة التي التقى فيها الغرور والغطرسة وعقدة العجز وضلال الغضب"[1].

أما السبب الثاني هو أن "العقاد" لم يمتلك الحظ الوافر في الحب، فقد كانت له قصة حب عنيفة، صدم فيها صدمة كبرى، فكانت الصدمة منها، وكان الفراق بينهما، وكان بكاؤه شديدا، وهو يرد إليها ذكرياتها عنده في إحدى حدائق مصر الجديدة، بمشهد من صديق من أخلص أصدقائه، ولم يكن بكاؤه عن أسف عليها، ولكن" العقاد" كان شديد الحساسية سريع البكاء، وقد أثبتت المراجع العملية والنفسية أن أقوى الرجال أسرعهم إلى البكاء والتأثر"[2].

ولعل هذين الجانبين لهما الأثر الكبير في معانات الشاعر من هذه الدنيا واستنفاره منها، فهو يرى أن الدنيا لا تعطى لناس شيئا مهما فعلوا,وا إنما تغريهم في شبابهم وترميمهم في آخرتهم, فلا يثق فيها، فراح يصادق الموت، ويحيها بل يتحداها، ولكن بكره وحقد ولم يطمع أن تدوم حياته إلى سن المائة، فيعبر عن ذلك قائلا:"إذا فاجأني الموت في وقت من الأوقات، فإنني أصافحه ولا أخافه، بقدر ما أخاف المرض، فالمرض ألم مذل لا يحتمل، لكن الموت ينهي كل شيء"[3]. لهذا جاءت مرثيته تعبر عن إحساس مزج بين عثرات حياته الخاصة والعامة، ليجد أن لهذه الدنيا متاهة كثيرة وأن نهايتها لا تعود على الإنسان بخير، فانشد قائلا":

قـضيت الآنَ يادُنياَ فَقوِي *** فمن أرثيك؟ ويحك ألستُ أدري
فماَ أبقيتِ غيرَ ذويكِ نسلاً *** وهم تَعِبوك في أعماقِ قبـــرِ
وماذا فيكِ من ذخرٍ جميلٍ *** لعينِ المستقبلِ " المستقـــرِ
أراكِ كمنتهى الأشياءُ طراً *** فأماالميتونَ فلستُ دأْرِي"[4].

---

[1] – محمد محمد عويضة: ، محمود عباس العقد،قطرات من بحر أدبه، ص20–21.

[2] – المرجع نفسه: ص9.

[3] – المرجع نفسه، ص11.

[4] – عباس محمود العقاد، عابر سبيل، ص121.

فهو يرى أنه إذا انطوت الدنيا لم يبق من أبنائها أحد، فليس هناك خسارة وليس هناك من يشعر بالخسارة"[1]، و أن الناس كما تصنعهم الدنيا يسيرون، فهم عبيد لها ورغم ذلك تتخلى عنهم، ثم يتابع قائلا:

كنتِ علىَ ضيائك أنتِ مما رأى *** وسيفليَ عيونبِ َلكِ يِ َسْرِ ى

فَ ألماالآخرون َ فَ مااَستَ هلوا *** عليكِ ولاَرأوكِ بعينِ حرِ

إليكِ ومنكومِن وجودكِ حينلا *** ٌمن ْفقدوكِ بعدَ ضياعِ عمرِ "[2].

فالناس يرون الدنيا، كامرئ جميل في عيونهم، أغراهم، فلتهوه وا ذا شهد للدنيا شاهد بالخير فإنما يكون هذا الشاهد من أبنائها، وا نما يشهد بما أعطته وأغدقت عليه، وا نما شهاداته نفسها عطية من عطاياها، وكلمة من لسانها فليست هي بالشهادة المقبولة"[3]، وما يدرك حقيقتها إلا أولئك الذين دفنوا تحت التراب، فهم تاهوا في رحاب الطمع والمال، لكن نهايتهم كفقراء أذلاء، حكم أصدر من الدنيا، فعاشوا شبابهم المزدهر، الذي أغدقت فيه الدنيا خيراتها وأنستهم الموت، ثم جعلتهم في آخر العمر فقراء يشحذون الموت، بدلا من الذل.

ثم يختم قائلا:

حسبنا جانبيكِ ىعلَ استواءٍ *** ٌفيالَكِ حسبةٌختُمت ْبصفرِ "[4].

فجعل من الدنيا عملية حسابية معقدة، ولا نفهمها إلا بعد حساب الناتج والذي لابد أن يكون صفر، فيقولوا ذا حسبنا ما للدنيا وما عليها فالنتيجة صفر...لأن النتيجة هي العدم"[5].

وا ن ظهر التمرد وعدم الاستقرار أحوال الشاعر، في هذه الدنيا، وأنها لم تنصفه، إلا أنه عبر بإحساس صادق مثقل بالحزن والأسى، مرافقا إياه بالرضى والصبر فهذا ليس بالأمر الغريب، وهو الذي عاش حياة غريبة أصر عليها رغم محاولة الكثيرين في تغييرها، واعتبر أن الموت حق لا عيب أن نخافها ولكن العيب أن يتغلب علينا هذا الخوف، فنخضع له، ونتمرد عليها فقد قال في ذلكنعّم، إن الخوف من الموت غريزة حية لا عيب فيها، وا نما العيب أن

[1] – عباس محمود العقاد: عابر السبيل، ص121.

[2] – المصدر نفسه، ص 121.

[3] – المصدر نفسه، ص 121.

[4] – المصدر نفسه، ص122.

[5] – المصدر نفسه: ص121.

يتغلب هذا الخوف علينا، ولا نتغلب عليه كما وجب أن نغلبه في موقف الصراع بين الغريزة والضمير، فإن الخضوع له في هذه الحالة ضعف، والضعف شر من الموت"[1].

ثالثا: رثاء الأصدقاء

نوع خاص له حضوره وملامحه الخاصة به في الأدب العربي، فالصداقة عملية نادرة في أي زمان أو مكان، فعليها يبني التعاون، وبها تسود الرحمة، وتنشر الأخوة التي لا يربطها دم، وعلى هذا الأساس ننطلق في دراستنا هذه من خلال التأبين، وذلك لأنه "أقرب إلى تعداد الخصال وإرجاء الثناء، أنه تنويه وإشارة بعزيز ذي منزلة"[2]، فتأبين الشعراء لزملائهم الراحلين أمر طبيعي تحتمه الزمالة وعلائقه المحبة والصداقة، ويأتي تدربهم في صفات اشتهروا بها[3].

ووفد تجلت الصداقة بأروع معانيها في العلاقة التي ربطت بين "قلقامش وأنكيدوا" والتي استعرضنها في التمهيد، في العصر البابلي القديم، أما إذا ما عدنا إلى تراثنا العربي فسنجده حافلا بالشعراء الذين صبغ شعرهم بالعاطفة الشفافة، كشفت عن وجدان الصداقة والقلوب الجريحة، والنفوس المشتاقة تحكي مرثيات حزينة لأصدقاء رحلوا، بزخرفات جريحة ونبرات موجوعة، وقد "كان شاعر الجاهلية القديم يفكر في هذا كله، فكان يحزن ويبكي ويلتاع ويعبر عن ذلك تعبيرا قويا في شعره، ثم يعود إلى نفسه، فيرى أن كل ما يضعه لا يغنيه شيئا، لأن المحنة في حقيقتها محنة كبيرة، محنة الناس جميعا، يمتحنون بها صباح مساء، ولايستطيعون بها ردا ولا دفعا، فليترك البكاء والدموع والتسليم للموت مخذولا، بل يائسا مقهورا، فالناس كلهم يموتون، والناس كلهم يصابون بحميم أو قريب"[4]، ولعل ذلك ما جعل مهلهل يرثي صديقه كليب:

أهاجَ قذارةَ عينيِ الإذكاءُ *** هدوءاً مالَه دموعُ لهلَحدارُ
وصار الليل مشتملا علينا *** كأن الليل ليس له نــهارُ
بكلِّ وَالنجومُ مضلعلتٌ *** كأنَ لم تحوهاَعينُ الجِ لـرُ [5]

---

[1] – محمد محمد عويضة: عباس محمود العقاد، قطرات من بجد أدبه ص11.

[2] – عبد الحليم محمد حسين: الرثاء في الشعر العربي، ص26.

[3] – عبد اللطيف عيسى: شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس: ص67.

[4] – شوقي ضيف: فنون الادب العربي ،الفن الغنائي2،الرثاء، ص87.

[5] – سراج الدين محمد: الرثاء في الشعر العربي، ص9.

فنجد عند كثير من الجاهلين نزعة الاستسلام للقدر، فالموت كأس يذوقها الجميع، لم يسلم منها أحد، لا ملك ولا سوقة"[1]، فقد ارتعشت أرواح كثير من الشعراء معبرين عن الوحشة والغربة التي يخلفها رحيل الأصدقاء، وشعر رثاء، الأصدقاء لا يرتبط بالمرثي فحسب، فيتلاشى بذهابه، وا ٍنما هو شعر خالد يتسم بالصدق، فقد احترق الشعراء بنار حزنهم ولوعتهم على أصدقائهم.وا ٍننا نجد هذا النوع ينتشر ويكثر مع تطور الزمن فنجده في صدر الإسلام "فلما عمت أضوائه في النفوس أخذت تظهر معه نزعة جديدة في العزاء، تقوم على التسليم لله والرضا بقضائه والصبر على امتحانه احتسابا وطلبا للأجر والمثوبة من عنده"[2].

فهذا الفرزدق يرثي صديقا له اسمه سعيد:

سقى الله قبرا يا سعيد تضمنت *** نواحيه أكفانا عليك ثيابها

وحفرة بيت أنت فيها موسد *** وقد سد من دون العوائد بابها

حتى يقول:

إذا ذكرت عيني سعيدا تحدرت *** على عبرات يستهل إنسكابها[3]

أما في العصر العباسي فهذا النوع من الرثاء كثر بكثرة الملتقيات والجمعيات حيث انتشرت المودة بين أصحابها وكثر بينهم المديح والوصف كما كثر الرثاء فهذا "أبو العلاء المعري يرثي صديقه أبا الخطاب الجبلي:

غير مجـد في ملتي واعتقادي *** نوح بـــاك ولا ترنـــم شـاد

صاح هــذي قبورنا تملأ الرحـ *** ـب فأين القبور من عهد عاد[4].

وهذا "أبو العتاهية يرثي علي بن ثابت:

ألا من لي بأنســـك يا أخيــا *** ومن لــي أن أبثك ما لــدي

طوتك خطوب دهرك بعد نشر *** كذلك خــطوبه نشرا وطيا

وكــانت في حياتك لي عظات *** وأنت اليوم أوعظ منك حيــا[5]

---

[1] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي2، الرثاء، ص87.

[2] – المرجع نفسه: ص88.

[3] – سراج الدين محمد: الرثاء في الشعر العربي، ص 18.

[4] – المرجع نفسه: ص44.

[5] – المرجع نفسه، ص45.

أما شعراء الأندلس في رثائهم قد سطروا أروع الكلام ومن أشهر الشعراء الذين رثو أصدقائهم "ابن الأعمى التطيلي" الذي رثى صديقه "ابن الحازم" فيما عرف عنه من مساعدة للفقراء والإحسان إليهم في قوله:

ألم يك حبه كهفا منيعا *** ألم يك قربه ظلا ظليلا

ألـم يك لليتامى والأيتام *** وليا حانيا وأبا وصولا[1]

وهنا تختلف عواطف الشعراء في رثائهم لأصدقائهم بين رثاء لمجرد المجاملة، والتي يظهر خلالها حزنه على الفقيد، مع ذكر مناقبه ومحاسنه، وبين متأمل للمصير المروع، مقهورا عاجزا، يجاهد الصبر ويتجرع المرارة مدرك أنه مصير واحد.

ويدور التاريخ دورته بين سعد ونحس، وتمضي الأيام بين صفاء وشقاء، ويتابع الشعراء مسيرتهم حتى نصل إلى العصر الحديث بين آنات الشعراء وصياحكهم على من يتوفون، وقد ازدهر رثاء الأصدقاء بكثرة وتعالت صيحات الشعراء على أصدقائهم، الذين فرقت بينهم الحياة، إما بحروب دامية وهو ما كانت تعيشه العرب أنذاك وا ٍما قد لحق أجلهم، فار تحلت الروح إلى بارئها، فأنشد الشعراء مرثياتهم يبكونهم، كرمز للوفاء، وتعبيرا على مدى عمق الصداقة، خاصة وا ٍن تلك الفترة كثرت مآزر الناس لبعضهم البعض بسبب الظروف السياسية المظطربة، أو الاجتماعية المتدنية، فهذا "إبراهيم ناجي" يرثي "أحمد شوقي" رفيق دربه قائلا:

قل للذين بكو على شوقي *** النادبين مصارع الشهب

والهفتاة لمصر والشرق *** ولدولة الأشعــار والأدب

دنيا تفر اليوم في لحد *** صحيفة طويت في المجـد[2]

فهو يعدد محاسنه ومناقبه، مما صنع من شعر وأدب، فأرثى التراث العربي وأبدع في أساليبه، مما جعله رمزا كبيرا للعلم والفن، تبكيه لا مصر فقط بل الأمة العربية كلها.

ومن مثل هذا كثيرا، فقد أبدع الشعراء في رثاء أصدقائهم، وشاعرنا عباس محمود العقاد من هؤلاء، فقد نظم قصيدته بعنوان "رثاء غانم" في رثاء صديقه الأستاذ "غانم محمد" الذي زاره "في يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته، فما استقر لحظة بين أبنائه وأهله

[1] – عبد اللطيف عيسى: شعر الرثاء في عصر الملوك والطوائف في الأندلس، ص65-66.

[2] – سراج الدين محمد: الرثاء في الشعر العربي، ص50.

حتى أصابته نوبة قلبية قضت عليه "رحمه الله" وهو في عفوان أيامه، فلم تمضي بين تهنئته ونعيه غير ساعات[1]، فأنشد قائلا:

أكانَ وداعاً يومَ صافحتُ غانماً *** وهنأتُهُ بالعيدِ، والعيدُ سخرُ ؟
فيا ويحَ العينِ في غفلاتِ المنى *** يرجونَ طولَ العمرِ، والعمرُ مدبرُ
ويا ويحَ للأبناءِ يا خيرَ والدٍ *** وقد رعفوا في وكرهِ حينَ بثروا
أذاكَ صياحُ العيدِ أم أسمعُ *** صياحَ اليتامى فيهِ الحمى تفترطُ
تلاحقَ في تلكَ الثغورِ كلاهما *** فيا هولَ ما نصغي إليه وننظرُ
وددتُ وقد ضنَّ البشيرُ بصدقهِ *** لو أن نذيراً بالمسلكين يعبرُ [2]

وهنا نجد الشاعر يظهر صدمته في موت صديقه ولم تمضي سويعات من لقائهما وكان على خير ما يرام، إلا أن المنية تعد بالأسرار ما لا يدرك البشر فيستنكر الذين يدعون بطول العمر، فالمنية لا تأخذ العليل ولا تأخذ كبير السن فقط.

ثم يسترسل في وصف من تركهم في دنياه، أبنائه فلذة كبده، كيفما يصارعون هول الحادثة، غير مصدقين، فهو يوم عيد أم جنازة أبيهم تقام.

فيصف الشاعر هول الحادثة، بأصوات البكاء تدوي البيت، وكان من المفروض أفراح العيد تدوي البيت بالضحكات والتهاني.

ثم يتابع قائلا:

أغلنمٌ إنيفي مُصابكَ ذاهلٌ *** قليلُ التعزيسافرُ الحزنمِ ضمرُ
بَذلتُ دموعي في بكاكَ رخيصةٌ *** ومثلك من يبكي ويرثي ويذكرُ
يُفكلؤ يومٍ تبصر العينث غانماً *** ومن أين؟ والأخلاق في الناس تندرُ
عرفتُ ((أبا فاتح)) قلاهُ ربهُ *** أخلَفي وعي الأيامِ لا يتقهْرقَهُ
وفيا إذا شلع الوفاء وا نه *** عليه إذا عز الوفلقة لأقدرُ
كريماَ إذا صالَ العداةُ وزمجرُ وا *** كريماً إذلخَانَ الصحلبوُقصرُ وا

[1] – عباس محمود العقاد: عابر سبيل، ص119.

[2] – المصدر نفسه، ص119.

صبوراًعلى ضرَ ّالغريم وا ٍنـــــه *** على الضر من ظلم الصديق طأَرْ ُ

ضـــــليعاًبأعباء الأمور إذا وذَ ى *** مدبِّر أمـــــر وســـــاء ُمـــقَدِّ ُ [1].

فالشاعر يعدد محاسن صديق، بعد وصف ذهوله من الخبر، الذي جعله يبكي فراقه وقد عرف شاعرنا بحساسيته السريعة "والعقاد كان شديد الحساسية سريع البكاء"[2].

ثم يكمل:

أخوكَ ((أمين)) فرق العام ُ منكمَ ***صفيين مِ ليَفرقهما ما يكدر ُ

على موعد العام القصير التقيتما ***فقيتك من يسهو ومن يتأخر ُ

سلام الخصال الصالحات عليكما ***وحمد المعالي والثناء المعطر ُ

ولا زال في دار المعارف فيكما ***صنيع على الأيام يروى ويشكو ُ [3].

فهذا صديقه الأستاذ "أمين لطفي"، وقد توفي أيام العيد، قبل صديق وزميله بعام واحد، فكان فراقهما،واليوم يزوره بعد هذا الفراق فيحييهما ويشيد بخصالهما الحميدة.

ولا بد أن المرثي تنم على إحساس صادق للشاعر، فقد أثارت حزنه وذكرته بما فقدهم.

[1] – عباس محمود العقاد: عابر سبيل، ص119.

[2] – محمد محمد عويضة: عباس محمود العقاد، قطرات من بحر أدبه، ص9.

[3] – عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص119.

رابعا: رثاء الزعماء:

ظاهرة واضحة في المعالم شائعة في الأدب العربي منذ القدم وقد انطلقنا في دراستنا لرثاء الزعماء من اللون الثاني من ألوان الرثاء ألا وهو التأبين، باعتبار أنه" تنويهوا بإشادة بشخصية لامعة، أو عزيز ذي منزلة في عشيرته أو مجتمعة"[1]، إذا فرثاء الزعماء والإشراف هو" تعبير عن حزب أو جماعة على الفقيد"[2]، ففيه يبكي الشعراء السلاطين والخلفاء والزعماء ويذرون فعالهم الحميدة في نشر الإسلام في ربوع الأرض، أو أنهم غوا لسان الأمة الناطق وضميره الحي"[3]. إلا أن رثاء الزعماء يختلف عن غيره من موضوعات الرثاء حيث يشكل صورة اجتماعية تؤثر في العامة قبل الخاصة، فالزعيم الذي يقول كلمة الحق ويدافع عنها سيفا وقلما وفي كل المواقف يشكل موته كارثة للأمة، فهذا الرجل العظيم الذي أسدى الخدمات الجليلة للموطن يهز بموته مشاعر الأمة ويزلزل وجدانها، وبالتالي تنطلق ألسنة الشعراء معبرة عن هذه الحادثة الجلل، الذي أصاب الأمة في صميم قلبها بقصائد تفيض بالألم والدموع، معبرين عن هذا الحزن الجماعي الذي ساد الأمة بوفاة هذا الهرم الشامخ, وهذا النوع من الرثاء_رثاء الزعماء_ قد نشأ وتطور بتطور صور الرثاء ونماذجه، وتعدد دواعيه وبواعثه، فإذا تتبعنا هذا التقدم لخرجنا بحقائق يمكن رصدها في رسم بياني، بدايتة العصر الجاهلي ونهايته في عصرنا الحاضر، إذالم يترك شعراؤنا شريفا على مر العصور دون أن يقفوا بقبره وينثروا مدامعهم عليه، وكان مقياس الشرف في الجاهلية التميز في القبيلة بالكرم والشجاعة والسيادة ومن أقدم المراثي التي نذكرها في هذا الجانب مرثية"أوس بن حجر" في "فضالة بن كلدة الأسدى، وفيها يقول:

أيتها النفس أجملي جـزعا *** إن الذي تـــــحذر قد وقـــتتا
إن الذي جمع السماحة والنجـ *** دة والعزم والـــــقوة جمعـــا
أوذى وصل تنفع الإشاحة من *** أمر لمن قد يحاول البدعـا

[1] – عبد الحليم محمد حسين: الرثاء في الشعر العربي،عدد12،2 مارس 2010 ،الشارقة،ص4.

[2] – المرجع نفسه،ص4.

[3] – زينب بيرة جكلي: مظاهر الرثاء في الشعر العربي في العصر العثماني، ص: 2.

ألا يمعن الذي يظن لك ال ***ظن كان قدر رأى وقد سمعاً
المخلف المتلف المرزأ لم *** يمنع بضعف ولم يمت طبعاً

وهو يدور في تأبينه حول المعاني والصفات التي كان يقدرها العرب في الجاهلية،والتي كانوا يطلبونها في أشرافهم وأصحاب النباهة والسيادة، وما تزال هذه الخلال وما يماثلها دائرة على ألسنة الشعراء في مراثيهم حتى عصرنا الحاضر.

ونمضي بعد العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي، فتلقى الأرض بكنوزها إلى حجور العرب، وتتكون طبقة كبيرة من الإشراف، يكون من بينها الولاة وكبار القواد والأجواد وهي لا تقف عند حد، فقد بالغ العرب في طلب المديح وان تجري ألسنة الشعراء فيهم بالثناء العطر، فكانوا إذ رحلوا عن دنياهم شيعوهم بالعبرات، ومن طريف ما شاع على الألسنة في العصر الإسلامي مطلع قصيدة "لابن قيس الرقيات" في شريف وقائد من قواد العراق وهو"طلحة الطلحات"، إذ يقول:

نصر الله أعظما دفنوها *** بسجستان طلحة الطلحات"[1].

ولعل هذا العصر من أكثر العصور التي شهدها رثاء من هذا النوع وذلك لأنه شهد تحولا جذريا ومن كل الجوانب، سواء الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية وحتى الثقافية من عادات وتقاليد، وأساس هذا التحول هو ظهور الإسلام وبنائه لحضارة جديدة، فكانت سفك الدماء وزهق الأرواح، وتضحيات الأبطال ثمنا لبناء هذا الاستقرار، فنطلقت ألسنة الشعراء ترثي أرواح الزعماء والقادة، الذين لبو نداء ربهم نحو الجهاد، وصنعوا النصر، لأمة جعلت منهم رمز القوة وكلمة الحق، وهذا خير زعماء العالم أجمع"محمد صلى الله عليه وسلم" يلتحق بالرفيق الأعلى فاهتزت الدنيا لأجله، وحزنت عليه جزعا، وأصيب المسلمون بالهلع وساد الحزن أمة الإسلام، وهذا"حسان بن ثابت" يرثيه قائلا:

بـالله ما حملت أنـــثى ولا وضعـــت *** مثل النبي رسول الرحمة الهادي
ولا مشى فوق ظهر الأرض من احـد *** أوفـــى بذمـة جـار أو ميعـاد
مـن الـذي كان نورا يستضـاء بـه *** مبارك الأمـــر ذا حزم و إرشادا[2]

[1]– شوقي ضيف: فنون الأدب العربي الفن الغنائي2، الرثاء، ص62-63.

[2] – سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، ص131.

توال سقوط الخلفاء وهم زعماء هذا العصر وقادتها، فهذا خليفة رسول الله" أبو بكر الصديق" ينتقل إلى جوار ربه، فيرثيه "حسان "مؤنبا:

إذا تذكرت شجوا من أخـــي ثقـــة *** فأذكر أخـــاك أبا بكر بما فعلا

خـــير البـــرية اتـــقاها وأعدلـــها *** بـــعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني الصادق المحمود ومشهده *** وأول الناس منهم صدق الرسلا"[1].

وتمتد يد المجوسية حاقدة لتغتال "عمر بن الخطاب"، فيرثيه "الشماخ بن ضرار الخطفاني"، ثم" عثمان بن عفان" شهيد، فيزداد حزن الأمة وتكثر فيهم المراثي، وان كثرة هذا النوع من الرثاء يدل على احترام الناس لهؤلاء، وتأكيد تميزهم عن غيرهم، من بر وتقو ى وا إخلاص، والاندفاع إلى الجهاد.

"ولما تحولت الخلافة إلى بني العباس كان من بين من قضوا عليهم "يزيد ابن عمر بن هبيرة" والي العراق"لمروان بن محمد" قائد جيوشه هناك، وكان من الشجعان الأجواد، وفيه يقول" أبو عطاء السندي نادبا متفجعا"[2].

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط *** عليك بجاري دمعها لجمود

عشيـــة قام النائحات وشققت *** جيوب بأيدي مأتم وخـــدود

فإن تمس مهجور الفناء فربما *** أقام به العد الوفود وقـــود

وكان للعصر العباسي لجواده و أشرافه وقواده الذين أجزلوا العطاء للشعراء، وأجزل الشعراء لهم في المدائح والمراثي، ومن أهم من رثوه وبكوه "معن بن زائدة الشباني" والى المنصور على"اليمن" وله سيرو وأقاصيص في المدح تشبه سير" حاتم كريم الجاهلية، ولعل أحدا لم يبلغ رثاءه ما بلغ "الحسين بن ميطر الأسدي" فله فيه مرثية رائعة يقول فيها:

ألما على معن وقولا لغيـره *** شفتك الغـــــوادي مربعا ثم مربـــعا

فيا قبر معن أنت أول حفرة *** من الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن ورأيت جـوده *** وقد كان منه البر والبحـــــر منـزعا

[1] – سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، ص131.

[2] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي "الفن الغنائي2"، الرثاء، ص64.

ومن وجوه العصر العباسي الذين أحدث موتهم جروحا لا ترفأ في قلوب الشعراء "منصور بن زياد" وفيه يقول"التميمي" من مرثيه طويلة:

عمت فواضله فعم هلاكــه *** فالناس فيه كلهم مأجور

والنــاس مأتمهم عليه واحد *** في كل دار رنة وزفيـر

وممن شغلوا الشعراء أحياء وأمواتا "يزيد بن مزيد" سيف الرشيد المسلول على أعدائه، وقد تغنى الشعراء بمديحه طويلا، فلما نزل به القدر هبو ناعين باكين وفيه يقول " التميم":

أحقــا أن أودى يـــــزيد *** تبين أيها الناعي المشيـــــد

أتدري من نعيت كيف فـاهت *** بـــه شفتاك وراك الصعيـــد

أحاسيس الملك والإسلام أودى *** فــما للأرض ويحك لا تميد

تأمل هـــــل ترى الإسلام مالت ***دعـائمــه وهل شان الوليد

أمـــا والله لا تنفك عينـــــــي*** عليـــــه بدمعها أبدا تجود

وكل بيت في المرثية يفيض بالدمع والأسى، وهي من أجود المراثي في الشعر العربي قديما وحديثا، ومن شعراء الذين برزوا في مراثي الولاة والقواد ممن فاضوا على الناس ببحور نوالهم وغمروا بها الأرامل واليتامى شاعر مشهور"[1].

يدور اسمه على كل لسان، وهو "أبو تمام"، ومن قوله في إحدى مراثيه وهي في" خالد بن يزيد بن مزيد"

أشيبان لا ذاك الهــلال بطــالع *** علينا ولا ذاك القمــام بعــائد

ولاجانب الدنيا يسهل ولا الضحى *** بطلق ولا ماء الحـياة ببـــارد

فيا و حشة الدنــيا وكانت آنســـة *** ووحدة من فيها بمصرع واحد"[2]

[1]_شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، "الفن الغنائي2"، الرثاء، ص65-66

[2]- المرجع نفسه، ص66.

وهذا مروان بي أبي حفصة يرثى "معن بن زائدة":

مــضى لسبــيله معـــن وابقى *** مكارم لن تبيد ولن تنالا

كــان الشمس يوم أصيب معن *** من الإظلام ملبسه ظلال

هــو الجبل الذي كـــانت نــزار *** تهد من العدو به الجبالا

وكادت من تهـــامه كل ارض *** ومن تجد تزول غداة زالا"[1]

ويكاد الإنسان يظن أنه لم يمت شريف ولا صاحب مأثرة إلا نعاه الشعراء و خلدوا ذكراه، وداوينهم تزخروا بمراثيهم لا في الشرق وبغداد فحسب، بل في كل مكان حتى أقصى العالم الإسلامي في العرب، ونقصد الأندلس فإن شعراءها خلدو دواويهم و أشعارهم بسواد الحزن على من سبقوهم إلى دار الخلود"[2]

فقد رثى الأندلسيون زعمائهم واثروا في رثائهم وأشادوا بمنزلتهم السياسة، وبطولتهم في الحروب ومكافحة الظلم ومحاربة الأعداء، خاصة بعد الأحداث الدامية التي وقعت في عصر الطوائف غير مستقرة تركت بصماتها على الحياة السياسية، والتي أدت فيما بعد إلى سقوط ملوك هذه الدول صرعى نتيجة الأحداث، لذا ظهر تيار تشاؤمي، عبر عن المصائب المستمرة التي نزلت بالأندلسيين وقادتهم، وهذا التعبير يأتي في الأغلب على تشكل تساؤلات عن مصرع هؤلاء العظماء، "فإبن شهيد"، في رثاء للوزير أبي عبده حسان بن مالك(سنه 420) يصل به اليأس ليقول[3]:

أفي كل عام مصرع لعظيم *** أصاب المنايا حادثي وقد يمي[4]".

وان أهوال هذه الحروب كانت تبعث اليأس في نفوس الناس، خاصة حينما يسقط زعماهم وقد اعتبروهم القوة والجبروتوالهيبة هؤلاء الزعماء عجزوا عن ر د العدو، فهذا "إبن زيدون" يرثي" المعتضد "الذي لم تكن له الحيلة في رد القدر ورغم قوة جيشه وسطوته فيقول:

غشيت فلم تغش الطردا سوابح *** ولا جولا بيض ولا أشرعت سمر

ولا ثنت المحذور عنــك جـلالة *** ولا غـــــرر ثبــت ولا نائـل[1]"

---

[1]– سراج الدين محمد: الرثاء في الشعر العربي، ص31

[2]– شوقي ضيف: فنون الادب العربي،الفن الغنائي2، ص67.

[3]– عبداللطيف عيسى: شعر الرثاء في عصر الملوك والطرائق في الأندلس، ص70

[4] – المرجع نفسه، ص70.

ومن خلال ما مر نجد العاطفة في رثاء الزعماء تتسم بالصدق، فإعجاب الشاعر ببطولة هذا القائد دفعة إلى النواح، و التفجع لوفاته، وتلك النزعة الإنسانية التي تسيطر على الشاعر عندما يخط بريشة مرثية الحزينة، فصلة الدم والنسب لا تربطه به، وا ٍنما هي عواطف إنسانية شاملة تميزت بطابع إنساني بحت، فموت الزعيم يمثل فجيعة الأمة ويحدث شقا كبيرا في وجدانها، وعلى هذه الشاكلة كان الشعراء يرثون كل زعيم، وما الدواوين إلا سجالات تحصي هؤلاء الزعماء، والذين لمعت نجومهم يوم المجد الأندلسي.

ونمضي نحو تعقد الحياة"حتى نصل إلى العصر الحديث بين أنات الشعراء وصياحهم على ما يتوفون من سلاطين المماليك، وعليه القوم ورؤسائهم و أجوادهم، وما نزال حتى نلتقي" بحافظ" و"شوقي" فنجد المراثي القادة والأعيان والعلماء مكانا بارزا في دونيهما، وأكثر "حافظ" في ذلك لأنه كان في تكوينه وتلوين حياته وليد الألم صراعات متعددة ألجأته في أوقاتكثير ة إلى كبار القوم يحتمي بهم ويتغنى خيرهم فإذا ما نبع فيهم ذهب ينشج وينوح عليهم بعاطفة حزينة صادقة ووجدان محترف على كريم رحل من غير عودة، و أما شوقي فقد كان ثريا محظوظا في حياته وعمله وعثر ته. لذلك كان غالبا ما يملا رثائه لذلك كان غالبا ما يملأ رثاءه وتابينه للزعماء والقادة بالحكم والأمثال التي[2] وتدل على عمق فكرته وبعد نظره وا ٍن كانت العاطف فيما ليست مشبونة ملونة بالسواد والحزن كما هي عند حافظ[3].

فالشعران من أكثر الشعراء شهرة آنذاك، فهما من الشعراء الأوائل في عتبات العصر الحديث، حيث كانت مصر بين مدو جزر، لما شهدته من تدخلات أجنبية، إذ يشهد التاريخ الصادق أن مصر منذ وقوعها تحت الاحتلال الإنجليز سنة 1882م حتى حصولها على استقلالها التي سنة 1954 لم تهدأ ولم تفتر عن مقاومة المحتلين والوقوف في وجوههم بكل أسلبوب وبأي طريقة أسعف بها الزمن أبناءها والقائمين بأمرها، و أول حركة وطنية بعد الاحتلال وجدت في سبيل مصر، كانت حركة "مصطفى كامل" ذلك الشاب المصري الأصيل الذي خرج من بين صفوف الشباب، وحولا يزال بعد تلميذا بالمدرسة الثانوية، يسمع صوت مصر إلى العالم كله بعد أن كان صوتها خفت أو كاد طوال عهد توفيق، ولم يقف شاعر في وجه

---

[1] – عبد اللطيف عيسى: شعر الرثاء في عصر الملوك والطرائف في الأندلس ، ص70.

[2]–عبد الرشيد عبد العزيز سالمشعر الرثاء العربي وا ٍستهاض العزائم، ص33

[3]–المرجع نفسه ، ص33

"مصطفى كامل" سواء كان قبل ذلك تأسيس حزبه سنة 1907م، أو بعده حتى وافته في العاشر من فبراير سنة 1908. فلم تنطوي صفحته بوضع رفاة في الثرى، و غنما ظلت مفتوحة يملؤها، الشعراء بأروع الأنغام و أشجاها في تأبيه، ومات قبل فيه يوم رفاته يدل دلالة قاطعة على أن الشعر كان يعيش ملحمة سياسة بكل أبعادها ومراميها يقول حافظ إبراهيم:

أيا قبر هذا الضيف آمال الأمـــة *** فكـبر و هلل والـــق ضيفك جـــاثيا
عزيز علينا أن ترى فيك مصطفى *** شهيد العلا في زهـــرة العـــمر داويا
أيا قبـر لـــــو أنا فقـــدناه وحـــده *** لكان التأسى من حوى الحزن شافيا
ولكن فقـدنا كـــل شيء يفقـــــده *** وهيهات أن يأتـــي به الدهـــر ثانيا

ومن أروع ما دبجته بصراحة "شوقي" في رثاء قوله:

المسترقان عليك ينـــــــجيان *** فاصيهما في مأتـــــم والداني
يا خادم الإسلام أجر مجاهد *** في الله من خلد ومن رضوان[1]

وغيرهم من الشعراء الذين أبدعوا في رثاء هذا الزعيم العظيم أمثال "أحمد نسيم" شاعر الحزب الوطني و إسماعيل صبري واحمد كاشف..فصور خدع السياسة و ألاعيب المستعمر، للإيقاع به وتدنيس رسالته وتشويه كلمة الحق التي تطبق بها في سبيل وطنه.

"وهكذا تحول تأبين الموتى والقادة منهم بالذات في مصر الحديث إلى مناسبات يعرض فيها الشعراء آراءهم حول السياسة. وموقف الأحياء منها بعد رحيل هذا أو ذاك من الزعماء والقادة، وأصبحو ا يلوثون قصائدهم بألوان من النقد والتحليل بمجردات الأحداث ويربطون ذلك بمواقف من يؤتونه ويستعيدون ذكراه، وبدلوا الدموع والآهات بالتوجيهات والأفكار التي يبغون نشرها وسيادتها بين الناس والشباب منهم خاصة[2].

فمصر لازالت تعيش ذلك الليل الطويل، في ظلمته تتخبط كلمة الحق، وتختلف آراء الزعماء آراء الزعماء، ولكل دواعي و أسباب يرى فيها سبيل الخلاص. إلى أن"تم ائتلاف الأحزاب، واتفقت الزعماء على بعض الأمور السياسية وجرت الانتخابات بين المؤتلغين، وسعد زغلول" إلى الحكم، والتف الشعب حوله مرة أخرى[3].

---

[1]– ينظر:عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ، ص56،45،35.

[2]– المرجع نفسه ، ص62

[3]– الو جع نفسه، ص64

ليروى نجم الحرية في الأفق البعيد، أملا أن يضيء دربهم لسبيل الاستغلال فواكب الشعراء تلك الأحداث، وهتزوا للروح الوطنية المقاومة لأولئك الشباب، الذين أخذتهم العزة بأوطانهم العزة بأوطانهم، فلبعو االدنية وما فيها، و أهدوا الروح إلى الوطن فماتوا محاربين وبقو زعماء، ونالو ا أجرهم الشهداء أبرار". وقد عرف الشعراء "سعد زغلول" زعيما مكافحا مقدما من اجل حرية شعبه واستغلاله، واخذوا يرقبون خطاه، ويمدونه بالعون إرادة الخير الدنيا الناس الضعيفة واهية فلم تجد مصر من يقف جمعها من دول العالم لينصر حقها على باطل المحتل، و أنهضتها الثورة، و اضطرت خطبا المجاهدين، وراحت الآمال تذبل شيء فشيء حتى روعت مصر بموت"سعد زغلول" في 23 أغسطس 1927م، وعاد النواح من جديد إلى قلوب الشعراء، ويجمع عليهم بكاء الماضي وأتيته فأخرجوه أفرات محرقة على من كان ثورة و أملا للثورة"[1].

وكما رثاه الكثير من الشعراء أمثال:شوقي، وحافظ، وا إسماعيل، رثاء شاعرنا صاحب الديوان –عابر سبيل– "عباس محمود العقاد"، في قصيدته "فاز سعد" التي تحصل رقم "68" من هذا الديوان، والتي "نظمها عند ما نقل رفات الزعيم الخالد سعد زغلول من ضريحه في صحراء الإمام، إلى ضريحه المقام إلى جوار بيت الأمة"[2].

وفي هذه القصيدة ينطلق الشاعر من معاناة الزعيم في حياته وفي مماته فهو يتعرض للنفي بعد قيادته للثورة المصرية ومعارضته للسياسة الإنجليزية، ولكن الظروف تأثر في الرجل، ويحمل، هموم وطنه وبأس حياته في المنفى، فتلقاه المنية، باستعجال في أرض بعيدة عن موطنه الأصلي، وعن أهله، ورغم هذا يقر الشاعر بنصر الزعيم في حياته ومماته أيضا، وأن رغم غربته ليزال بين أهله وأصحابه يذكره الشعب ويشيد بأفعاله وبطولاته، وهو الذي حمل عبئ الاستعمار حبا لموطنه وشعبه فكيف لا يحبهنه ليس هناك هذا الشعب؟ ثم يذهب الشاعر لمخاطبة الزعيم مطمئنانه ليس هناك من يؤيده بعد اليوم، وهو في دائرة الأخدة، وا إن مات فإن بطولته صنعت له المجد وسيبقى خالدا، فالشاعر استهل القصيدة يعرض جملة من الحقائق الحياتية، لتكون أشد تأثيرا وذلك يذكل المنفى ومعاناة الزعيم "سعد زغلول ومكانته لدى الشعب إذ يقول:

[1]– عبد الرشيد عبد العزيز سالم:شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص79–80.

[2]– محمود عباس العقاد: عابر سبيل، ص68.

عـــــــرف النفـي حياة ومماتا *** وأصـــــاب النصر روحولً ُفَ اتـــا
كلمـــــــا أقصوه عن دارٍ لـه *** ردَّه الشعـــب إليـها وا ٍستماتـــا
كيف يجزيه افتياتا ً وهـو مـــن *** كان لا يرضى على الشعب افتيانا
أصبحـــت دارك مثـواك فـــلا ***تَ خش بعد اليوم يا سعد شتـــاتـــا
حبذا الخـــــــلد ثمـــلراً للـذي *** غرس المـجـوذ َمَّـــاه نبـــاتـــا[1]

ولما كان المبدع جزء من الكل، تشكل مشاعره من خلال إحساسه بالجماعة يؤثر ويتأثر بها، جاءت قصيدته كلسان ناطق لهؤلاء فتعابير ه مستمدة من إحساسهم الصادق وحبهم لهذا الرجل، وخاصة أن فاجعةالموت أشد حقائق الوجوه إيلاما و أكثرها تأثيرا على الإنسان ويتابع قائلا:

كـــل أرض للمـطلِّى مسجد *** غير أن الكعبـة الكبرى مقـام
هـــكذا قبرك مـرفوع الـرذُ ا *** في جوار البيت أو سفح الإمام
أرض مصر حيث أمسيت بها *** فبنو مصر حجيـج وزحـــام
غيـــر أن الذكـر يبغي منسكاً *** مثلمـا يبغيـــه حج واستـلام
فـــقْ َ في قبـرك خ ُلداً كلما *** مـــر عـام تبعته ألف عـام

ونجد الشاعر هنا قد اعتمد في رثائه للزعيم الراحل "سعد زغلول" على البنية الإستعارية، في هذا الجزء، من خلال أنه يظهر قداسة قبره ومكانته عند الشعب، إذ يعتبرا أن في كل أرض للصلاة مسجدا لكن قداسة الكعبة والصلاة فيها أكبر مقاما، وكذا قبر الزعيم "سعد زغلول"، وأينما دفن، وأي منفى كان من مصر سوف يزوره الناس تكريما وتخليدا له، كما يزور الحجاج بيت الله، ويستمر الشاعر في توظيف البنية الإستعارية، ليبرز مكانة ومعزة الزعيم في قلوب الشعب وأنه كما تقام مناسك الحج كل عام سوف نحي ذكر اك لألف عام، وهذه البنية الاستعارية جاءت بثوب فني جميل، ليصنع المتعة ويثير خيال المتلقي ويعرفه بمنزلة المرثي.

ثم ينتقل الشاعر مخاطبا الناس من أبناء وطنه قائلا:

جيرة الأحياء أولى بالذي *** بعث الدنيا حياة لن تبيد
مـعشر الأحياء أنتم لكم *** مدد من ذلك الميت مديد

[1]– محمود عباس العقاد: عابر سبيل، ص68

مستعيدرجاءً كلمـــــا *** جـزتموه وهو منكم مستعيد
إنـــه في كـل جيل ذاكـر *** مـن بنيه، أبد الدهـر وليد
تلك يا سعد مغانيك فمـــا *** في سواها يسكن اللحد شهيد
أعبـــر القـاهرة اليوم كما *** كنت تلقاها جموعاً ونظاماً
ساعــة في أرضها عابـرة *** بيـن آبـــاد طوال تتـرامى
ساعة من عالم الفردوس لا *** تشبه الساعات بدْءاً وختاما
كـــل من شاهدها زيدَ بـها *** من معانيـك جلالاً ودواما
قــل لهم أبلغ ما قـلت لهم ***أيها الواعظ صمتاً وكلاما[1].

فالبيت الأول والثاني والثالث من هذا الجزء ، يخاطب الشاعر أبناء مصر، داعيا إياهم إلى ذكر الزعيم الذي أعطاهم أملا في الحياة، ويذكرهم لأفضاله عليهم والتي ستبقى دائما تذكرهم بتضحيتهم، خاصة إذا ما ذكر اسمه واحتفل شعبه، لينتقل في البيت الرابع و يؤكد بقاء ذكره في كل جيل وعلى طول الدهر.

ثم يخاطب الشاعر المرثي وكأنما يستدعيه ليرى مصر اليوم، مصر الجديدة مستقرة ومتحررة، مشبه أيها بالفردوس، وأن يطوف في القاهرة عابرا شوارعها المنظمة، فهو يصور مصر اليوم وكأنه يخاطب المرثي ويبكي ليترك دلالة نفسية مؤثرة لدي المتلقي، فجاءت الألفاظ منسجمة مع مشاعر الشاعر وا ٍحساسه بالفخر اتجاه ما صنع الفقيد.

وقد توسل الشاعر بعدد من الأساليب للتأثير والإقناع مزواجا بين الإنشاء والخبر متخذا من فعل الأمر "قل"وسيلة لحث المتلقي وا ٍرشاده من أجل التفكير وأخذ العبرة بما يجري من واقع وا ٍحداث،معتبرا الز عيم حيا وميتا في نفس الوقت، فهو ميت يحيون ذكراه، وهي بأفعاله وبطولاته، وان العبرة في النصر لا يكون بالحزن والحداد عن الذين استشهدوا، فهو يوم بوريده العدو، لكي يرخي استعماره،ثم يواصل استخدام فعل الأمر بان يترك الحزن على الزعيم ويفرحوا لنصره، وعودته إلى مسقط رأسه، ثم يشيد ويمدح المرثي ويصف كيف أحيا تاريخ النصر وهو تاريخ قديم في تراث الفراعنة، من نوم لاستفيق، ولن ينسوا له ذالك من خلال التالي:

جردوا الأسياف من أغمادها *** ذاك يوم النصر لا يــوم الحداد

[1] – عباس محمود العقاد: عابر سبيل: ص69.

ارفعـــوا الرايات في أفاقهـا *** أين يوم الموت من يوم الميعاد؟
لايـ ُلاقَ ي الخلد بالحــزن ولا ***يُكتسَ ي الفــتح بجلباب الســواد
ذاك يـــوم ما تمنـــاه العدو *** بـــــل تمنـــــــاه ولاءو وداد
فـــانفضوا الحزن بعيدا واهتفوا *** فاز سعد وهو في القـبـر رماد
الفـــراعين الأولـــى أجليتهـم ***لَ مذَّوا لـــو أجازوك الطـــريق
أنـت أضفيـــت على أوطانهـم *** سعة، وهي من الأسـر مضيق
أنـــت أيقضت لهـــم تاريخهـــم *** وهو في نـــومه لا يستفيـــق
فـــضلك اللاحق أحيـــا فضلهم *** فاستوى منـــه طريف وعريق
آيـــة في الحـق لا ينسخهـــا *** أبدا الدهر عدوا أوصـــديق"[1]

فالشاعر كغيره من بني عصره، بكى الفقيد، وشيد بإعماله الاجتماعية والثورية، وهي صورة حديثة في الرثاء ظهرت في العصر الحديث وفي هذا يقول "شوقي ضيف" "وفي عصرنا الحديث فإن الشعراء اخذوا يعرضون في رثائه المناقب الاجتماعية، وما أسداه الفقيد لمجتمعه من وجوه بر وإصلاح في مختلف نواحيه"[2].

ثم يتابع قائلا:

يأبني مصرا جعلوا من نقلتـه *** رمز أحياء وعزم ومضـــاء
وانظروا كيف حالت دونـــــه ***غِوَ ٌ شتَّى وما حال القضاء
المنحَّـــون تنحوا جـــــانبا*** آخر الأمر، وسعد في البنـــاء
كـــل ذي حق سيعطى حـقه *** ليس للمجد من الخلد نجـــاء
كـــل ما عرض سعيًا باقيً ـا***.عَوَضَ ٌ فانٍزور ٌ وريـــاء
تـــرمز الشمس إلـــى نقلتـــه *** بسفور غالـــب بعد حجـاب
هو أيضاً قد طـوى الليل الـردى ***وطوى ليل الغواشي والكِذاب
في السمـــوات وفي الأرض لـه *** أثـر ينبـــئ بيـوم الميعـــاد
أثـــر الفجر إذا إنجـاب لنـــا *** عن ضحاهبعد لأْيٍ وغِلاَب"[3]

---

[1] –عباس محمود العقاد: عابر سبيل، ص 89.

[2] –شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي 2، الرثاء، ص 84.

[3] –عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 79.

وغلاب وقد بدا في هذا الجزء في نداء لأبناء مصر، ليجعلوا من يوم نقله رمزا لبطولته فيحيونه دائما، ليتحول إلى صورة من الحكمة والوعظ لرثاء "الزعيم" فهو يلفت انتباه المصرين إلى الذين لم يستطيعوا مواجهة الأزمات،إلا إن الزعيم الثورة ربها "سعد زغلول"استطاع المواجهة، بل وأصر عليها. ثم ينتقل بعد ذلك إلى رسم الحكمة العادلة، لهؤلاء الزعماء وان الحق مهما كان يعود إلى اصحبه أنعالهم مجدا لا يزول.

ثم يكمل قائلا:

دان يا سعد لك الذكر بمـا *** شيدا البانـي وما خط الزابور
قـدر نـادى فلبتـه علـى *** موعد الذكرى صخور وسطور
أنـا بان لك في الملك النهى *** منزلا يبقى ولا تبقـى الصخور
مـن أسـانيدك أسـاس لـه *** ومن الحـق لـه حسن ونـور
إن أنـل شوَـأْكَ فيه أننـي *** بالذي شيدت منه لفخـور"[1]

ثم يتابع قائلا :

فتيـة الوادي بسعـد فقتدوا *** إن تـخيرتم لـه خيـر وفاء
اذكـروه بالـذي يعملـه *** منكـم العامل في خير وناء
هكـذا يخلـد سعـد بينكـم *** بتمـاثيـل حيـاة ورَ اء
كـل مـا يـعظم من أعمالكم *** هو تخليـد لذكرى العظماء"[2]

وظل الشاعر يعزف على أوتار الحزن أشجان الوطنية في الزعيم ويقدس كل أفعاله، وأنه سيكتب عليه ليضل ذكرى لا يمحيها الزمان، وأنه فخورا بما فعل ليتوجه لأبناء الوادي ويثير فيهم نوازع الوفاءللفقيد، ويشجعهم بالإقتداء به، ويجدد الأمل على طريقته وأسلوبه، وأن يذكروه ويذكرو ا مجده، فيخلد "سعد" بينهم، ويستعيد قصة كفاحه في كل عام، فهو ذاك الرمز الشامخ شموخ الجبال.

ويبقى الرثاء عند الشاعر، بأنواعه "الوجدانية" و"الفلسفية"، سائدا في قصائده، فهو كأي إنسان أخر يحزن ويجرح لفراق الأحبة، "فما دام الإنسان مدنيا بطبعه، اجتماعيا بيكنونته، يعاني

[1] –عباس محمود العقاد: المصدر نفسه، ص80.

[2] – المصدر نفسه، ص80.

روابط ذويه وعلاقته مع أصدقائه،يعيش هذه الحياة حلوها ومرها، يعاني متاعبها ويفجع لمصائبها وتحزنه حوادثها، سيبقى موجودا ما دام هناك ولادة وفناء، وحياة وموت"[1] فمرثيات "العقاد" سادها كثير من الإحساس الصادق، وصدمة الحزن و الإيمان بسنة الحياة، فالأصدقاء الذين رحلوا و الزعماء الذين سقطوا لن يعودوا، بل خالدون في قلب الرجل، فتبقى ذكراهم سمات تلطف الأجواء الكئيبة، وحياته الحزينة.

[1] – محمد مجيد السعيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، دط، مطابع الرساله الكويت، 1979، ص294.

ـ الفصل الثاني: دراسة فنية في مرثيات العقاد:

أولاـ التشكيل اللغوي والأسلوبي للمرثيات

ثانياـ البديـــــــــــــــــــــــــع

ثالثاـ البيـــــــــــــــــــــــــان

وقد تطرقنا في هذا الفصل من دراستنا إلى عنصرين:اللغة و الأسلوب من أجل شرح المرثيات واستخراج لغة و اسلوب الشاعر.

1- اللغة:

تعريفها:"إن اللغة Le labgage بالمعنى الواسع وسلة للتبليغ أو التواصل مستعملة من قبل المجموعة الإنسانية أو الحيوانية، لبث مراسلات، واللغة مركبة من وحدات دنيا تدعى علامات، signes أو إشارات signous.[1]

اللغة عند الأدباء وخاصة الشعراء:"فهي الوسيلة الفعالة التي تصل بيننا وبين وعن طريقها فقط، يستطيع إظهار قصيدته إلى الوجود، لذا فهي أداة مهمة في نقل فكرة الأديب وصياغتها بما يحمل من عاطفة وخيال يفر ضان على الأديب اختيار الألفاظ المعبرة[2].

أما أقرب تعريف لامس، لغة الشاعر وهدفه منها فهو اعتبارها "وسيلة التعبير والتواصل والوجود،... ومدونة لحفظ الحضارة وايصال المعرفة، مرتبطة في المقام الأول بالشخصية، والتي بواسطتها تتميز الأشياء وتتحدد، وتعد الوجه الحقيقي لكل تواصل وطني أو رسمي بين أفراد المجتمع".[3]

أما لغة الرثاء فإنها سارت في اتجاهين: الاتجاه الأول يعود في مفرداته إلى ألفاظ البداوة، وهذا ليس مستغربا عند العربي الذي يشتد حنينه إلى عيشه ومواطنه الأول....بل إن الشعراء في كل العصور يتجهون عن غير قصد إلى التزام منهج معين من التراث العربي يضيقون عليه شياء من المعاني المبتكرة والجميلة.

أما الاتجاه الثاني: فيرجع في مفرداته إلى الرفة النظارة، وما يمكن أن نسميه بحياة المدينة والتحضر.[4] ولكن يبقى لكل شاعر لغته الخاصة، ينظمها كما يشاء، ويعبر بها بنوع من التفرد والاستغلالية، فيحدد فيها إذا شاء ويبتكر الألفاظ ويبلور الألفاظ كما تقتضي حاجته. ومن أجل معرفة لغة شاعرنا "عباس محمود العقاد قمنا بدراسة لغة المرئيات من خلال ما يلي:

---

[1]- عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، الصنف:4/071، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة الجزائر، 2003، ص28.

[2]- جماعة من المؤلفين: اللغة الأم، صنف4/168، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر، 2004، ص3.

[3]- عبد اللطيف عيسى: شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص132.

[4]-المرجع نفسه، ص133.

2-الأسلوب:

الأسلوب عند العرب:"اشتقت في الأصل اللاتيني stilus وهو يعني "ريشة" ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة، فارتبط أولا بطريقة الكتابة اليدوية، دالا على المخطوطات، ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية، فاستخدم في العصر الروماني-في أيام خطيبهم الشهير"شيشرون" كاستعارة تشير إلى صفات اللغة المستعملة، لا من قبل الشعراء، بل من قبل الخطباء البلغاء، وقد ظلت هده الطبيعة عالقة إلى حد ما بكلمة style حتى الآن في هذه اللغات، إذ تنصرف أولا إلى الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق، ولما كانت الأعمال الأدبية تختلف أساسا عن الخطابة واللغة المنطوقة فإن تعلق مفهوم الأسلوب بها يشير إلى بعض الخواص الكلامية فيها، ويرى بعض الباحثين أن إشتقاق الكلمة من أصل اللاتيني-لا الإغريقي- كما هي الحال في معظم المصطلحات البلاغية الأخرى له أهميته خاصة.[1]

الأسلوب عند العرب:

لغة: يقال للسطر من التخيل، وكل طريق مهند فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء... ويجمع أساليب، والأسلوب طريق تأخذ منه، السلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي في أفانين منه.[2]

اصطلاحا:"أنه عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفته البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه، الذي هو وظيفته العروض، وا ٍنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص،... تلك الصورة التي تنتزعها الذهن من أعيان التراكيب واشخاصها، ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصها فيه رصا، كما يفعل البناء في القوالب والنساج في المنوال، في يتسع القالب لحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع

[1]-صلاح فضل:علم الأسلوب مبادئه وا ٍجراءاته، ط، دار الشروق، القاهرة، مصر ،1419هـ، ص93.

[2]-ابن منظور: لسان العرب، المجلد الرابع، ص456.

على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه و توجد فيه على أنحاء مختلفة".[1]

أولا: المستوى الصوتي:

"إن النية الصوتية هي أول المظاهر المادية والحسية للنسيج الشعري التي يمكن التعرف من خلالها على الوحدات الصوتية وما فيها من التوازيات البدائل ومن التآلفات والمتنافرات وغير ذلك".[2]

1-الصوت:

تعريفه: الصوت ظاهرة طبيعة، وكل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، يمثل اهتزاز مصدر هذا الصوت الذي ينتقل إلى الآذان خلال وسط ما هو الهواء غالبا، وتصل سرعة الصوت إلى 322م/ثا، ومن الملاحظ أن الصوت يأتي متنوع الأشكال وذلك تبعا لدرجته وشدته وقيمته، أما درجة الصوت فتتوقف على عدد اهتزازاته في الثانية الواحدة، وشدته تتوقف على سعة الاهتزاز أو المدى الذي يصل إليه الذبذبة وقيمته هي أثره والسار أو المنفرد في الآذان، فأي صوت يمكن تحليله إلى نغمة أساسية او فرعية..[3] والصوت اللغوي هو الأثر السمعي المقصود، الهادف، الصادر، عن أعضاء النطق.[4]

وفي قصائد الرثاء التي تناولناها، لصاحب الديوان -عابر سبيل- محمود عباس العقاد، وهي على التوالي:"على طلال الدنيا"-رثاء، غانم -"فاز سعد". نجد فيها أصواتا تشكل عناصر مهمة في القصائد وتوضح إيقاعها وهي:

الأصوات المجهورة المهموسة: تنقسم الأصوات تبعا للاهتزاز الأوتار الصوتية أو عدمه، إلى قسمين: فالصوات التي تهتز معها الأوتار الصوتية وتذبذبها تسمى بالأصوات المجهورة، أما الصوات المهموسة فلا يهتز معها الوتران الصوتيان ولا تظهر إلا عند النطق بها.[5]وا ٍذا ما

---

[1]- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، 1290، ص5نقلا عن صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وا ٍجراءاته، ص94.

[2]- صلاح فضل: الأساليب الشعرية المعاصرة، دار قياء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط، 1998، ص28.

[3]- رمضان عبد الله: أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، ط1، مكتبة البسان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص9.

[4]- صلاح فضل: المرجع السابق، ص33.

[5]- المرجع نفسه، ص37-38.

قمنا بإحصاء هذه الأصوات في المرثيات المدروسة فإننا نجدها متفاوتة فيما بينها، لتعبر على دلالات مختلفة، وقد جاءت كما يلي:

أ- الأصوات المجهورة:

1-الأم: واسع الانفجار مجهور متفتح حافي لثوي، ويرتفع عدده في القصائد كالتالي:

على طلال الدنيا، 18 مرة

رثاء غانم :67 مرة

فاز سعد: 143 مرة

وحرف اللام "اللام" حرف قوي جاء للدلالة على الغضب

2- **النون:** صامت أسناني لثوي مجهور، أغن، ويرتفع عدده في القصائد كالتالي:

- على طلال الدنيا:20 مرة
- رثاء غانم: 38 مرة
- **فاز سعد:** 42 مرة، وهي تدل على الغيظ الذي يعثر نفسه

3- الياء: شبه صامت مجهور حنكي وسيط ويرتفع عدده في القصائد كالتالي:

- على طلال الدنيا: 25 مرة
- رثاء غانم: 62 مرة
- فاز سعد: 72 مرة
- وقد جاء ليدل على

4- الميم: واسع الانفجار متفتح، انفي، فني، شفوي، وقد بلغ عدده في القصائد كالتالي:

- على طلال الدنيا 21 مرة
- **رثاء غانم:** 48 مرة
- **فاز سعد:** 68 مرة

5- الراء: واسع الانفجار مجهور متفتح لثوي، ويرتفع عدده في القصائد كالتالي

- **على طلال الدنيا:** 17 مرة، ويشكل حرف روي لها
- **رثاء غانم:** 51 مرة، ويشكل حرف روي لها
- **فاز سعد:** 69 مرة، متنوعة.

6- الدال: انفجاري، مجهور، منفتح، اسناني، لثوي، يرتفع عدده في القصائد كالتالي:

- **على طلال الدنيا:** 6مرة
- **رثاء غانم:** 22 مرة
- **فاز سعد:** 32 مرة

7- الواو: شبه صامت مجهور شفوي حنكي قصي ويرتفع عدده في القصائد كالتالي:

- **على طلال الدنيا:** 14 مرة
- **رثاء غانم:** 45 مرة
- **فاز سعد:** 58 مرة

ب= الأصوات المهجوننة:

1- الكاف: صامت مهموس حنكي قصي انفجاري، يرتفع عدده في القصائد إلى

- **على طلال الدنيا:** 17 مرة
- **رثاء عانم:** 25 مرة
- **فاز سعد:** 30 مرة

2- التاء: صامت مهموس، سني، لثوي انفجاري، يرتفع عدده في القصائد كالتالي:

- **على طلال الدنيا:** 15 مرة
- **رثاء غانم:** 26 مرة
- **فاز سعد:** 28 مرة

3- الهائ: صامت خنجري احتماكي، مهموس، ويصل عدده في القصائد كالتالي:

- **على طلال الدنيا:** 08مرات
- **رثاءئ غانم:** 16 مرة
- **فاز سعد:** 20 مرة
- **القاف:** صامت مهموس، لهوي، انفجاري، ويصل عدده في القصائد كالتالي:
- **على طلال الدنيا:** 08مرات
- **رثاء غانم:** 16 مرة
- **فاز سعد:** 48 مرة

6- السين: صامت لثوي، احتكاكي مهموس تكرر عدده في القصائد كالتالي:

- **على طلال الدنيا:** 12 مرة
- **رثاء غانم:** 10 مرة
- **فاز سعد:** 38 مرة
- ليدل على الحزن والأسى

2- المفردات:

أن تصنيف المعجم انطلاقا من المستوى الصوتي يهدف إلى القبض على المكونات الدلالية الأساسية للنص، ولتحقيق هذا الهدف ستوظف تقنية المعجم بالإحصاء الوحدات المعجمية وتصنيفها حسب الدلالة التي تحيل إليها، وفق "تقنيات تتحكم في شكل المعجم الشعري لأي نص شعري إما عن طريق:

- العموم والخصوص.
- الترابط المقيد أو الحر.

إن هذه التقنيات قابلة للتطبيق على أي نص شعري، مع التفاوت الممكن في استجابة النصوص لها، مع التأكد أن النص الشعري يجب أن يكون المنطلق الأول والوحيد في تطبيق أية تقنيات سواء، كان أساسها نظري علميا أو حدسيا أو توقعيا، حتى لا يسقط المحلل في سلبية التعسف على النص".

أ-عن طريق العموم والخصوص:

-تعتبر هذه التقنية أساسية في تشكيل المعجم بواسطتها يمكن اختزال الوحدات المعجمية التي تشكل البنية الكلية للنص في كلمات محورية وعامة، تتفرع عنها ألفاظ ذرية وثانوية، وسنحاول البرهنة على ذلك انطلاقا من قصائد المدروسة التي قدمتها سابقا، والتي قمنا بتقسيمها إلى خمسة بنيات وهي كالتالي:

- **بنية المدح:** يعتبر النص ثورة دلالية يتم التركيز عليها في بنية المدح، التي تتوزع في القصائد كما يلي:

-**رثاء غانم:** تمتد من البيت العاشر إلى البيت الرابع عشر

-"**فاز سعد**": تمتد من البيت الواحد والعشرون إلى البيت الخامس والثلاثون

– ويستعمل الشاعر وحدات معجمية، ذات دلالة ثانوية للبنية الكلية مثل:

– الأسياق– أغمادها– النصر– إرفعوا– الرايات– الميعاد– العدو–اهتفوا– فاز– العين– أجا– وفيا– كريما– صورا– صديق– خليعا– جديد.

وكلها مفردات تتدرج وفق وحدة معجمية، وهي "الظفر" ذات دلالة عاجلة لتعزز البعد الدلالي الذي يلح عليه الشاعر، ويقصده والذي يعرفه المتلقى بحكم تراكماته المعرفية، عبر قنوات مختلفة، ومتعددة، فهو في قصيدة"فاز سعد"قد ظفر الزعيم بحب و احترام وتقديس الشعب. أما في قصيدة "رثاء غانم" فقد طفر المرثي بحب الشاعر، وحب الأهل واحترام الناس.

بنية الوصف: وذلك من خلال الجمع بين مفردات مختلفة، أدت معنى السرد لكن في طابع وصفي، ولعل ذلك راجع إلى إستراتيجية معينة سلكها الشاعر، من أجل سرد بعض الوقائع في طابع وصفي، وتتوزع كما يلي:

–"**رثاء غانم:** من البيت الأول إلى البيت السادس

–"**فاز سعد**" : من البيت الأول إلى البيت الخامس، ثم، من البيت السادس والثلاثون إلى البيت الأربعون.

وتتمثل مجموعة من الدلالات هل تتحدر ضمن وحدة الحزن:

–صافحت غانما، العيد، الداعين في غفلة– الأبناء– روعوا وكرهم– صاح العيد– صاح اليتامى– هول ما نصغي.

–عرف النفي حياة ومماتا– أصاب النصر– أفموه– رده الشعب–دارك مثو اك– غرس المجد– نقلته– المنحون تنحوا جانبا– سعد في البناء–ترمز الشمس– صرعت ليلتين.

–**بنية البكاء:** وكلها مفردات تنم عن حزن الشاعر، وتأثره الواضح وهذا لأن إحساسه صادق، وتعابيره نتاج تجربة عاشها، مع هؤلاء وقد تمثلت في القصائد كالتالي:

– **على طلال الدنيا:** من البيت الأول إلى البيت الثالث.

– **رثاء غانم:** من البيت: السابع إلى البيت التاسع.

– **فاز سعد:** من البيت السادس إلى البيت العشرون.

ومثلها المفردات التالية:"قضيت–فقري–ارثيك– ويحج– قبر–نخر– مصابك–ذاهل– التعزي–الحزن– دموعي– بكاك–رخيصة–يبكن–يرثى–يذكر– قبرك–أمسيت– الذكر– الأحياء –الميت–رجاء–ذاكر.

وكلها مفردات تندرج ضمن وحدة"اليأس"والتي تدل على حزن الشاعر على فار قهم، فهذا رفيق الدرب"محمد غانم" والآخر زعيم الثورة "سعد زغلول" عاش مقاومته وشهد له بناء مجده.

-بنية الثناء:

تنسجم المفردات فيما بينها، لتشيد بأمجاد المرثيين وفق متناقضات متنافرة، وقد جاءت في القصيدة كما يلي:

-"**فاز سعد:** من البيت الواحد والأربعون إلى البيت الخمسون

بنية الذم: وقد تشكلت أغلبها في قصيدة، على ظلال الدنيا من البيت الرابع إلى البيت **الثامن:** من خلال المفردات مثل لمتهلو ا عليك–فقدوك–حسبنا على استواء– حسبة خدمة بالضفر

ب–عن طريق الترابط والتداعي الحر:

الترابط والتداعي الحر أساسيات تتحكم في معجمأي نص شعري، وكلما كان النص ذا قيمة إبداعية متميزة كلما ازدادت أهمية التدعي الحرفية وقلت أهمية الترابط والعكس صحيح، على أن الشعر الذي يخرج العادات اللغوية ويثور على اعرافها يهمن عليه التداعي الحر، في حين ان الشعر الذي يقوم على الترابط غالبا ما ينقل غلى المتلقى دلالات يتوقعها وينتظرها نتيجة معارفه السابقة ولابد من التركيز هنا على التعبير، فالمعنى المألوف والعادي إذا صيغ صياغة شعرية متميزة، يكتسب قيمة ابداعية متميزة.

ثانيا: المستوى التركيبي:

1- الجانب النحوي:

يعد التركيب اللغوي من اهم الموضوعات البحث الأسلوبي البنيوي في تحليل الخطاب الشعري الذي"يقوم في أساسه على التركيب، وذلك ان طريقة التركيب اللغوي الخطاب هي التي تحدد خصوصياته على التركيب، وتكسبه كيانه وتمنحه فرداته الفنية والجمالية.[1]

وذلك من خلال تركيب الأدوات تركيبا خاصا فتحدث بذلك عملية الإثارة والتاثير في المتلقي

ولذلك من أجل معرفة البنية النحوية في القصائد المدروسة- على طلال الدنيا "رثاء غانم"-فاز سعد" على ان تركز أولا على الجزئيات، التي تتركب منها هذه القصائد، للوصول إلى كليها، وهذه الجزئيات تتمثل في مختلف الجمل، فياترى ما هي الجملة؟ وما أقسامها.

إننا من خلال بحثنا في تعريف الجملة، وجدنا أنه لا يستطيع تحديد مفهوم شامل لمفهوم الجملة، لأن معظم اللغويين القدامى والمحدثين اختلفوا حوله، وذلك بسبب اختلاف منطلقاتهم وتبيانها.

"فإبن جني يرى أن الجملة مرادف الكلام، فيقول :"الكلمة هي اللفظة الدال على معنى الفرد بالوضع وهي جنس تحته ثلاثة أنواع، الاسم، والفعل، والحرف والكلام، هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين لقولك: زيد أخوك، ويشير صاحبك، أو في فعل اسم نحو قولك: ضرب زيد، انطلق بكر، ويسمى الجملة".[2]

لذلك فإن الجملة هي أكبر وحدة قابلة للتحليل في المادة اللغوية، أو هي"الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه ثم هي الوسيلة التي تنقل ما حل في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع.[3]

---

[1]-نور الدين السد، تحليل الخطاب الشعري مجلة اللغة و الدب، دار حومة، د ت، ص119.

[2]--نادية طاهر: شعر إبنمسايب دراسة أسلوبية، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، س1997-1998، ص98.

[3]- ابن جني: الخصائص، تحقيق، محمد النجار، ج1، دار الكتاب العربي،(د ط، د ن، ص17.

ولقد قسم النحاة الجملة إلى قسمين هما: الجملة الإسمية والجملة الفعلية، إذ لابد لهما من مسند ومسند إليه، وقد قال عنها بسمويه: مالا ينبغي واحد منهما عن الآخر ولا يجد منه المتكلم أبدا.[1]وهو يحصر هما في المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، حيث يقول:"ومن ذلك الاسم المبتدأ أو المبنى عليه وهو قولك"عبد الله أخوك"

يذهب زيد، فلا بد للفعل من اسم، كما لم يكن الاسم الأول بد من الآخر في الابتداء".[2]

ومنه فقد جمع النحاة على ان الجملة تتكون من اسمين أو فعل و اسم، ولابد من أن يكون بينهما إسناد أصلي.

وبذلك فإن الجملة سواء كانت إسمية أو فعلية، تتضمن هذه الأجزاء الثلاثة:

1-المسند إليه (المبتدأ-الفاعل- نائب الفاعل

2-المسند(الخبر-الفعل

3-الإسناد: وهو عنصر معنوي، ولا يكون إلا بوجود المسند والمسند إليه.

وقد قسم "ابن يعيش" الجملة إلى أربعة أضرب، فعلية، اسمية، شرطية وظرفية فالاسمية التي صدرها اسم، والفعلية التي صدرها فعل، والظرفية التي صدرها ظرف مجرور، ويقصد بصدر الجملة المسند والمسند إليه، لأنه لا عبرة بما تقدم عليها من الحروف، **وقسمها الزمخشري إلى أربعة:** فعلية، إسمية، شرطية، وظرفية.[3]

ومنه فإن لأي تركيب غاية ينبغي الوصول إليها، وبذلك جاءت القصيدة المدروسة والمذكورة سابقا، متعددة التراكيب في مختلف الأساليب والسياقات وتمثل الجملة الفعلية بروزا أسلوبيا في القصيدة، حيث نجد نسبة الجملة الفعلية أعلى من نسبة الجمل الأخرى، كالجملة الاسمية، والاستفهامية والتعجبية والموصولة والشرطية والتعجبية، وهي جمل تتفاوت فيما بينها كما يلي:

1-الجملة الفعلية: تتألف الجملة الفعلية من (فعل+فاعل أو (فعل-نائب فاعل والفعل في هذه الجملة لابد من ان يكون فعلا ماضيا أو مضارعا غير مبدوء بهمزة او نون او التاء للمخاطب

---

[1]- ابراهيم أنيس: أسرار اللغة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1971، ص171.

[2]- نادية طاهر: المرجع السابق، ص100.

[3]- جماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت، ص24-25.

الواحد، أو فعل امر يعبر المخاطب، والفاعل في هذه الجملة، إما أن يكون اسما، أو ضميرا أو ما ينقل للاسمية من نفسه أنواع الكلام وكذلك نائب الفاعل، وكمل الجملة الفعلية العدد الأكبر، تقاربت فيها كل من الجملة الفعلية الماضوية التي تقدر بأكبر من الجمل الماضوية، والأمرية المنخفضة، وهي موزعة في القصائد كما يلي:

أ-قصيدة"على طلال الدنيا"كررت فيها الجملة الفعلية خمسة عشر مرة، بين جمل فعلية ماضوية، كررت بإثنا عشر مرة وجمل مضارعة كررت أربع مرات أما الجمل المرية فصفر.

ب-قصيدة"رثاء غانم":كررت فيها الجملة الفعلية بواحد واربعون مرة قدرة الجملة الفعلية الماضوية باثنان وعشرون مرة، أما الفعلية المضارعة بعشرون مرة والأمرية صفر.

جـ-قصيدة «فاز سعد": كررت فيها الجمل الفعلية بتسعة وثلاثون مرة بين فعلية ماضوية قدرت بإثنان وعشرون مرة، وفعلية مضارعة باثنتا عشر مرة و أمرية بتسع مرات.

وقد قمنا باستخراج بعض النماذج لهذه الجمل للاستدلال بها:

1-الجملة الماضوية: نمط متميز من أنماط الجملة الفعلية، جاء متنوعا في القائد الثلاثة بين:

أ-جملة فعلية المثبتة البسيطة: وهي نوع من الجمل المجردة من أداة التأكيد والنفي وقد تحقق ذلك فيما يلي من الجمل:

- قضيت الان يا دنياي-اشتهى الأحياء طرا
- وردت وقد ضن البشر بصدقه
- بذلت دموعي في بكاك.
- عرفت "أبا فتح" تولاه ربه
- خان الصحاب
- ونى مدبرا
- قل لهم أبلغ ما فلت
- تمناه العدو
- أضفيت على أوطانهم
- أحيا فضلهم
- شيد الباني

وقد جاءت ملونة من(فعل ماضي مبنى للمهموم+ فاعل (ظاهر أو مستر+مفعول به أو أكثر، وتراوح الفاعل في هذه الجمل بين الظهور والاستتار، وهذا المزج في أنواع الفاعل المختلفة يدل على التمكن اللغوي للشاعر وكذلك يدل على الاستمرار والتواصل حيث أن الشاعر بنى ذاته وما يعانيه من حزن على فراق الحبة، وذم الدنيا، وكذلك ما يطمح إليه، وما ينصح به.

ب-الجملة الفعلية المنفية: وقد جاءت متفرعة في القصائد بعدد مقبول وقد ورد منها ما يلي:

- ما انجبت غير دويك نسلا
- ما لمتهلو ا عليك
- ما في سواها سكن اللحد
- ما في سواها سكن اللحد

*لا يوم الحداد

- لا يلاقى الخلد الحزن

وقد أفادت هذه الجمل معنى التقي، أن تصدرتها أداة من أدوات النفي وهي"ما" و"لا" النافيتين، لذلك فإن اعظم الجمل الماضوية المنفية تأتي على اساس الرتب الناس: أداة نفي + مسند + مسند إليه.

- الجملة الفعلية المركبة: وتكون الجملة الفعلية الماضوية مركبة إذا جاء المفعول به جملة ومثلك نذكر قول الشاعر في قصيدة، غانم":

- خان الصحاب وقصروا
- وكذا في قصيدة "فازسعد":
- غرس المجد ونماه نباتا
- فأنفظوا الحزن بعيدا واهتفوا
- اذكروه بالذي يعمله

2-**الجملة الفعلية المضارعة:** تعددت الجملة الفعلية المضارعة، واختلفي القصائد المدروسة، وهذه بعض الأمثلة:

- **على طلال الدنيا:**

- عيون نبيك يسري

- **رثا غانم:** العيد يسخر، يرجون طول العمر، تبصر العين غانما يبكى ويرثى ويذكر.

- فاز سعد":يكسى الفتح جلبابا السواد، ترمز الشمس إلى نقلته.

2-الجملة الإسمية:

تشكل الجملة الإسمية سمة أسلوبية واضحة في مرثيات"العقاد"، حيث بلغ عددها في **المرثيات الثلاثة:** أربعة وخمسون موزعة كما يلي:

- قصيدة على طلال الدنيا: كررت فيها الجمل الإسمية، خمسة مرات، ومن ذلك ذخر جميل- بعين المستقبل المستغر- امرأى وبسما....الخ

- قصيدة رثاء غانم: كررت فيها الجملة الإسمية، ثمينة عشر مدة ومنها:

الداعين في عفلة المنى-العمر مدبر- صاح اليتامى- قليل التعزي كرما إذا صال العداوة وصور على ضر غريم....الخ

- **قصيدة فاز سعد:** كررت فيها الجمل الإسمية، واحدة وثلاثون مرة ومنها: أرض مصر-سفح الإمام- جيرة الحياء- معشر الأحياء- الفراعين الأولى اجليهم- المنحوا جانبا....الخ

وقد توزعت هذه الجمل حسب معانيها بين جمل إسمية مثبتة بسيطة ومنسوخة و أخرى مؤكدة- أفادت جميعها عرض الاختصاص، لأن الجملة الاسمية بصفة عامة أكثر تعبيرا عن هذا العرض، وأكثرتنا سيالة من غيره، وقد ساعدت بعض المكونات اللغوية في الجمل على نسج دلالة الاختصاص ومن أهمها ويحك-قبر-الميتون-عمر-صفر-المنى-وكرهم-صياح-يتامى-داهل مصابك ضر-الغريم-الثناء-الفتى-مماتا-رفاتا...الخ وهي تدل على التفرد في المعانات، ومنه الجمل الاسمية تنوعت من صبت أغراضها الأسلوبية وتنوعت مكوناتها اللغوية خاصة بروز الاختصاص بها

وغن اعتماد القصائد على الجمل الإسمية على اختلافها صورها واشكالها يبين مدى تميز التعبير الشعري الصادق لدى الشاعر، في اختيار مكونات اللغوية فاستعان بالجملة الفعلية

ليدل على التجدد والحدوث، واستعان بالجملة الاسمية للثبوت واستمرار، فيزر لدينا بذلك تزاوج اسلوبي خلق خطابا شعريا متميزا.

3-الجملة الشرطية: الشرط في اللغة العربية أسلوب مخصوص ينبغي ان يدرس متسقا عن غيره، وهو يتكون من جملتين ترتبط كل منهما كالأخرى ارتباطا وثيقا، وتكون إحداهما شرطا في حدوث الأخرى او سببا فيه.والجملة الشرطية حسب عبد القاهر الجرجاني تختلف في نظامها في الجملة فهيتحتوي على جملتين لا تستقل إحداهما عن الخرى معنى وتركيبا، وا ن اشتملت كل متهما على طرفي الإسناد، فالجملة الشرطية تعتمد في وجودها على جملتي الشرط والجواب جميعا.[1]

تعد الجملة الشرطية من أهم الدعائم التركيبة التي قامت عليها القصائد المدروسة التي استخدمها الشاعر استخدما فنيا بديعا، فتنوعت أنماط الشرط وتباينت أنظمته و انسياقه، وذلك من خلال استخدامه لأدوات الشرط وقد برز ذلك في "رثاء غانم" وقدرت بثلاثة جمل شرطية وهيث:

- كريما إذا صال العداوة وزمجروا
- كريما إذا خان الصحاب وقصروا
- خليعا بأعباء المور إذا ونى مدبر أمر.

4-الجملة الموصولة:

تعتبر الجملة الموصولة من السمات المميزة للقصائد المدروسة، حيث يرقى عددها إلى أربعة او خمس جمل، الموصولات كلها سواء كانت إسمية أو حرفية مبهمة المدلول غامضة المعنى خلال بدلها من سيء يعدها واجب التأخير عنها يزيل ابهامها وغموضها وهو ما يسمى (الصلة، فالصلة هي التي تبين مدلول الموصول وتفضل مجمله وتجعله واضح المعنى كامل الإفادة.[2]

[1]-عباس حسن: النحو الوافي، ط5، ج1،دار المعارف بمصر، ص373.

[2]-السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص204.

وقد برزت الجملة الموصولة في قصيدة:

- "فاز سعد": كما يلي
- واذكروه بالذي يعمله
- واذكروه بالذي امتاز به
- فجاءت صلة الموصول في هاتين الجملتين جملة امرأته، وذلك لغرض الإثبات والتقدير

5-الجملة الظرفية:

الظرف هو اسم يذكر لبيان زمان الفعل أو مكانة على تقدير معنى في، وا ٍذا لم يتضمن معنى (في، لا يكون ظرفا بل يكون كسائر الأسماء حسب ما يطلبه العامل، فقد يأتي مبتدأ أو مبدأ وخبره أو فاعلا، والظرف قسمان، ظرف زمان (ساعة، يوم، ليلة، بكره، صباحا، مساء....وضرف مكان(فوق، تحت، امام، خلف،....).

وقد جاءت في القصائد كالتالي:

رثاء غانم:

- على موعد العام القصير –يوم صافحت
- فاز سعد:
- ساعة في أرضها عابرة
- ساعة من عالم الفردوس
- يوم النصر
- يوم المعاد

جملة الاستفهام:

الاستفهام في اللغة العربية حقيقة طلب الفهم، وهذا الفهم إما أن يتعلق بالمسند إليه او الإسناد ذاته، فإذا كان الأول فهو التصور بمصطلح النحاة، وا ٍن كان الثاني فهو التصديق ولهما أدوات منها، (الهمزة لطلب التصور والتصديق، "وهل" لطلب التصديق، وباقي أدوات الاستفهام للتصور دون التصديق.

وقد ورد الاستفهام في القصائد المدروسة حوالي عشر مرات 4.5 أدوات الاستفهام في هذه القصيدة مختلفة ومتعددة، وهي المن، ماذا من، أكان، آذاك، أفي، كيف، أين...(وهي تفيد

معنى الإنكار والتقى، وقد اختير الاستفهام الإنكاري، لأنه يناسب الموضوع والموقف الحزين الذي يعيشه الشاعر فهو وضع الحيرة من الدنيا وما فيها، وكيف تعزى الناس ثم تنكسهم، وقد جاءت في القصائد كما يلي:

- قصيدة على طلال الدنيا
- لمن أرثيك؟
- وماذا فيك من ذخر جميل؟
- من جدوك؟
- من فقدوك؟

قصيدة "رثاء غانم":

- أكان ودعا يوم صافحت خالدا؟
- إذا صياح العبد أم أنا ساطع***صياح يتامى الحمى تتفطر؟
- أخي كل يوم تبصر العين غانما؟

ومن أين

- قصيدة "غاز سعة:
- كيف يجري افتياتا؟

-أين يوم الموت وا إبن يوم المعاد

7-جملة النداء:

يعرف علماء البلاغة النداء بأنه طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف يتوب كل حروف منها متاب الفعل (أدعو ويأتي المنادي منصوبا او في محل نصب).[1] وقد ورد النداء في القصائد ما يقدر بسبعة جمل منها:

- على طلال الدنيا:
- فيا ويح للداعين في غفلة المنى
- قصيدة "رثاء غانم: * قصيدة فاز سعد
- يا ويح الأبناء - كيف يجريه افتياتا

[1]-محمود احمد نخلة:لغة القران الكريم في جزء عم، ص 500.

– فيا هول ما نصغي إليه – ابن يوم المعاد

– أغانم ابن في مصابك ذاهل

– وفي هذه الجمل تظهر شعرية الخطاب التي تنم على مقصد به المرسل، إلى المرسل إليه فهو في قصيدة على طلال الدنيا، يخاطب الذين يبغون طول العمر، أما في قصيدة "رثاء غانم" فهم أبناء المرئي في المثال الأول والثاني هم المعزون في بيت الفقيد، أما الثالث فهو الفقيد في حد ذاته، حتى يعبر أي درجة بلغ حزنه.

ومنه فإن ما يمكن ان نستنتجه من دراستنا للجانب النحوي للقصائد المحروسة اعتماد الخطاب الشعري على الكلمات الدالة على الزمن اكثر من اعتماده على الكلمات المجردة منه وهذا يعتبر من اهم الخصائص الفنية والأسلوبية، ولهذه القصيدة فهيمنة الأفعال تنسجم وتتألف مع طبيعة الموضوع، وتجعل فيه حركية وتجدد مستمرين يتناسب مع ما يريد الشاعر التعبير عنه، مما يجعل القارئ يحس وكأنه يعيش الحدث ويراه فيكون بذلك لوحة فنية رائع.

2– المستوى الصرفي:

–تعريفه:

الصرف علم بأصول الكلمة، يعرفه به أحوال ابنيتها وليس اعرابها ولأبنائها، حيث يهتم بدراسة الكلمة المفردة قبل تركيبها في جملة، وعند اللسانيين العرب هو علم يدرس بنية الكلمات واشكالها لذاتها وغنما لغرض دلالي أو لغرض صرفي يفيد خدمة الجمل والعبارات.[1]

1–بنية الفعال:وهي دراستنا لهذا الجانب كان رصدنا الولى للأفعال وصياغتها البسيطة التي لم تقترن بحرف وهذه الصيغ هي:

– فعل: ظلم، بعث

– وقد جاء الفعل الماضي على صيغة قال مثال: صال، خان، فاز

– عل: ظن–عز

– أفعل: أصبر

– فعل: فرق، شيد

– فعل:حمد

[1]–موسى عبد الرحمن قبشاوي: وقفة مع العربية وعلومها، ط1، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص13.

– بعد استخراج لبنية الأفعال وحدتاها تتحصل اغلبها في الصيغ التالية:

فعل–فال–عل–افعل–فعل–فعل

2– سنة الأسماء: وقد جاءت في الصيغ التالية:

– فعل:دنيا

فعا: منى

فعلا: نسلا

ذخر: فعل

– أحياء:أفعال

فاعل: عارض – ناصع

– فعال – كذاب

–فعيل: صديق – عريق – صديق

بعد هذه الدر اسة لبنية الأف (عال والأسماء واهم الصيغ الواردة في القصيدة لاحظنا الحضور الكثيف للجملة الفعلية للجملة الفعلية على حساب الجملة الاسمية، وهذا يدل على الحركة التي أراد الشاعر أن يبعثها على كامل قصيدته، فالفعل يعنى الحدث والحدث يخلف الحركة، وخير دليل على هذه الحركة:

– **رثاء غانم:**

صال العداوة وزمجروا

– اساء مقدر

– حمد المعاني والثناء المعطر

– "**فاز سعد**":

– دان يا سعد لك الذكر

– قدرى نادى فلبته

– عرف النفي حياه ومماتا

– غرس المجد ونماه نباتا

– بعث الدنيا حياة لن تبيد

– فالشاعر يرغب في الحركة والتعبير في واقعه، بين دنيا واعتبرها ظالمة، لا خير فيها –وصديق رحل ولن يعود، وهو من خيرة الأصحاب، خلقا، وضفاقا، وأخرى في زعيم: يدعوا إلى احياء نقلته وتمجيده، واسترجاع حقه وكرامته التي ضاعت بسبب طمع الاستعمار، فهنا تظهر معانات الشاعر ومأساته وحالته السيئة من أهوال الدنيا وفراق الحبة، ورحيل الزعماء – وفي مرثيات اعتمد على الوصف في أغلبها، وهذا ما يبرر كثرة الأفعال الماضية.

ثالثا: المستوى الدلالي:

تقوم دراسة اللغة على عدة مستويات تتداخل فيما بينها ولعل المستوى الدلالي من أهم هذه المستويات واصعبها لأن الطبيعة الحقيقة للغة يمكن فقط فهمها من خلال فهم المعنى.

فالدلالة لغة تعني: عند ابن منظور في لسان العرب:"دل، يدل، إذا هوى، دله على الشيء يدله دلا ودلالة فأندل سدده إليه والاسم الدلالة، والدلالة بالكسر والفتح والدلولة، والدليلي، قال سبوبه" والدلالة له ما جعلته الدليل والدلال، وقال ابن دريد: الدلالة بفتح حرف الدال.

وجاء في معجم الوسيطدل عليه وا ٍليه دلالة: ويقال دله على الطريق و نحوه سدده إليه فهو دال الدلالة: الإرشاد.[1]

أما عند الغرب فقد مر علم الدلالة تسميات عدة –Semasialogy, Sematogy, Semics Semiotics قبل أن يسفر في نهاية المطاف عند المصطلح Sémantique الذي تبلور لدى اللغوي الفرنسي ميشال بريل عام19–883م، في كتابه Essai de Semantique وقد وضعت هذه الكلمة من أصل يوناني مؤنث Sematike (يعني، يدل–ومصدرها كلمة "بسمة" أي إشارة[2].

أما اصطلاحا فتعنى «ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي،[3] ويعرفها شريف الجرجاني فيقول "الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بالشيء الآخر، والشيء الأول وهو الدال والشيء الثاني هو المدلول، وكيفية دلاله اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، ٕإارة النص، و اقتضاء النص[4] وهي تعنى

[1]–مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، ص294.

[2]–فايزة الداية: علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص06

[3]–حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص99.

[4]–سيد شريف الجرجاني: د ط، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص06.

أيضا «ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى ويرتبط مصطلح السيماتيك باللغوي الفرنسي"ميشال بريال في مقاله المشهور(رسالة في السمانتيك.[1]

والدلاليون عموما يهتمون بالعلاقات الدلالية بين الكلمات التي تعتبر من النظريات الحديثة نسبيا في ميدان الدراسة اللغوية الحديثة، وهي تتصل بتعدد دلالة الكلمة وغموضها، كما تعتبر جزء علميا أشمل واوسع في دراسة علم الدلالة، وهو ما يطلق عليه، علم الدلالة التركيبي.[2]

وقد أفرد اللغويون العرب لهذه الموضوعات رسائل كثيرة مختلفة ومتنوعة لا مجال للتفصيل فيها هاهنا، ومنه ومن خلال ما سبق حاولنا تبين مختلف العلاقات الدلالية، بين مختلف التراكيب التي وردت في قصائد العقاد في الرثاء والتي وزعت تحت مختلف الحقول الدلالية والتي سنحاول تبينها من خلال النتائج التالية:

1- **حقل الحسرة والذهول:** ونجده متوزعا في القصائد الثلاثة كما يلي:

- قصيدة على طلال الدنيا
- لمن أرثيك؟
- فأما المينون فلست ادري؟
- لمن فقدوك بعد ضياع
- فيالك من حسبة ختمة بالصفر
- قصيدة"رثاء غانم"
- يا ويح الداعين في غفلة المنى، أغانم أني في مصابك ذاهل
- يا ويح الأبناء يا خير والد
- لمن فقدوك بعد ضياع
- فيالك من حسبة ختمة بالصغر
- قصيدة "رثاء غانم"

[1]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، دار علم الكتب، القاصرة، ط4، 1993، ص22.

[2]-حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص121.

- يا ويح الداعيين في غفلة المنى، أغانم أني في مصابك ذاهل
- يا ويح الأبناء يا خير والد
- صياح يتامى في الحمى تتفطر

فيا هول ما نصغي إليه وننظر

- فيا هول ما نصغي إليه وننظر
- عرفت أبا فتح تولاه ربه
- قصيدة"فازسعد":
- عرف النفى حياة ومماتا
- أصبحت دارك مثواك
- هكذا قبرك مرفوع الدرى
- غير أن الذكر يبقى مناسكا

ونجد في هذا الحقل الدلالي، أن الشاعر وظف العديد من التراكيب الدالة على معنى"الحسرة والذهول"، وقد لمحنا من خلال السياقات المختلفة لهذه التراكيب ومن خلال المعاني الخاصة التي تركبت منها مثل:"إرتيك–المينون–فقدوك–حفر– يا ويح– المنى– صاح– اليمامى–الحمى...الخوقد جاءت هذه التراكيب بأسلوب عميق ومأثر يبرز مشاعر الذهول والحسرة.

2– حقل الثناء والمودة: ونجده في القصائد كما يلي:

- **على ظلال الدنيا:**
- امرئ وسيما غني عيونك يسري
- وماذا فيك من ذخر جميل
- **قصيدة"رثاء غانم"**
- وفيا إذا شاع الوفاء وأنه عليه إذا عز الوفاء، لاقدر
- كريما إذا أصال العداوة وزمجروا
- صبورا على ضر الغريم
- خليعا بأعياء الأمور

-كريما إذا خان الصحاب وقصروا

-سلام الحصال الصثالحات عليكما

-**قصيدة "فاز سعد"**

-كان لا يرضى على الشعب اقتياتا

-من مغانيك جلال ودوما

-ايها الواعظ صمتا وكلاما

-فاز سعد وهو في القبر رمادا

-الفراعين الأولى أجليهم

- أتت أضفيت على أوطانهم

- أنت انقضت لهم تاريخهم

- فضلك اللاحق احيا فضلهم

- ونلاحظ من خلال التراكيب أنها ذات دلالات على الثناء، وهذا ما يبدوا واضحا من خلال مختلف الألفاظ المستعملة والمعبرة عن ذلك قبل (وسيما-جميل-وفيا-الوفاء-عز-كريما-صبورا-أضنيت- معانيك-الواعظ - فاز.... الخو القصد من وراء كل ذلك هو تعظيم المرثي وغانم وسعد زغلول والإعلاء من شأنها، وتبين فيمنهما، يذكر وتعداد محاسنهما. أما الدنيا دعم ما أثنى عليها في تلك الجمل إلا أنه "العقاد" قد ذمها في كثير من الأبيات

3- حقل الشوق والحزن: ونجدها كمي القصائد كما يلي:

- **قصيدة"رثاء غانم":**

- وردت وقد ضن البشر صدقه

- ومثلك يبكى ويرثى ويذكر

- أكان ودعا يوم صافحت غانما

- قليل التعزي سافر الحزن مغمر

- أفي كل يوم تبصر العين غانما

- **قصيدة "فازسعد"**

- لا يلقى الخلد بالحزن

– وهو في نوعه ولا يستفيق

– انا بان لك في ملك النهى

ومنه فإن شوق وحزن اللذان عشهما الشاعر أدت في النهاية إلى نظم هذه المرثيات في عزيز وحل، وزعيم ونقس يأسه من الدنيا، فجاءت المعاني في هذه التراكيب، تعبر على هذا السون والحزن مثل (وددت، يبكى، يرثى، يذكر، التعزي، الحزن، السواد، جلباب، نومه، النهى، الذكرى. وكلها ذات دلالات قوية ومؤثرة، تنم عن حزن الشاعر وا إحساسه الصادق.

2–التكرار: إن القصائد المدروسة تتضمن تكرار، ملفتا للنظر لبعض الوحدات المعجمية، وقبل تحديد دلالة هذه الوحدات، ننطلق في إحصاءها من القصائد من خلال الجدول التالي:

القصائد	الأبيات	مواطن التكرار	في الصدر	في العجز
على طلال الدنيا	8	حسبنا–حسبة	+	+
رثاء غانم	–1–	العيد، العيد		+ +
	–2–	العمر، العمر		+ +
	–4–	صياح اليمد، صياح يتامى	+	+
	–8–	بكاء، يبكى	+	+
	–11–	وفيا إذا شاع الوفاء، الوفاء	+ +	+
	–12–	كريما، كريما	+	+
	–13–	ضر، ضر	+	+
	–13–	صبورا، أصبر	+	+
	–14–	الأمور، أمر	+	+
	–15–	فرف يفرمها	+	+
فاز سعد	–3–	اقتياتا ، اقتياتا	+	+
	–8–	مصر ، مصر	+	+
	–9–	يبغي ، يبغه	+	+
	–11–	الأحياء ، الحياة	+	+
	–12–	هدد ، مديد	–	++

	-18-	ساعة ، ساعات	+	+
	-19-	من ، من	+	+
	-20-	قل لهم ، ما قلت	++	-
	-21-	يوم النصر ، لوم الحداد	-	++
	-22-	يوم الموت ، يوم المعاد	-	++
	-24-	تمناه ، تمناه	+	+
	-29-	فضلك ، فضلهم	++	-
	-32-	حالت ، حال	+	+
	-33-	المنحون ، تنحوا	++	-
	-34-	حق ، حقه	++	-
	-35-	عارض ، عرض	+	+
	-38-	طوى ليل ، طوى ليل	+	+
	-43-	يبقي ، تبقى	-	++
	-46-	تخيرتهم ، خير	-	++
	-47-	يعمله ، عامل	+	+
	-48-	إمتاز – مزاياه	+	+
	-50-	يعظم – العظماء	+	+

انطلاقا من الجدول التصنيفي السابق نستنتج ما يلي:

أن التكرار وحده معجمية بنفس اللفظ يكاد يكون خاصة أسلوبية تحضر في أغلب المرثيات.

نسبة التكرار تنحصر في تواتر الكلمة مرتين في كل الأبيات، التي يضمها الجدول باستثناء البيت الحادي عشر من القصيدة الثانية"رثاء غانم" الذي تكررت فيه كلمة "الوفاء **ثلاث مرات**":

وفيا إذا شاع الوفاء وا نه***عليه، إذا عز الوفاء، لأقدر

ومن خلال ما تناولنه سابقا، نجد أن لغة العقاد لم تكن مثل لغة معاصريه، فميزت أسلوبه لتجعله نموذجا يتحدى به ادباء عصره، فلم تكن هذه المرتبات مسرفة في العاطفة كشعراء الرومانيين، ولا مسرفة في الجلبة والجهارة والعناية بالفخامة كنموذج "شوقي"و غيره في تلك الفترة. وليس هي لغة الحواس الظاهرة والقشرة الخارجية بقدر ماهي لغة المشاعر والعواطف الصادقة، فقد ثنية العقاد إلى أهمية اللغة، فعن بألفاظها بما أضفى عليها من خفةورشاقة، فجاءت المرئيات، بمفردات رقيقة ما نوسة بعيدة عن الغزابة، في قالب بسيط ومتحرر، يرغم من أن الرثاء غرض حزين بارد ما كيل بالقوالب الجامدة، إلا أن "العقاد" تحرر من هذه القيود، فحرك بألفاظه وخياله في موضوع الموت الذي يتصف دائما يتصف دائما بالجمود وضيق الألفاظ، ومع ذلك فقد بعث فيها روحا وحركة، وراح يتعامل مع اللغة، بقدر ما هو عليه من التوتر والانفعال واضطراب النفس، فجاء أسلوبه واضح المعاني والأبعاد.

فيه انسجام بين الألفاظ والحالة النفسية، فنجده يثور على المألوف من السياق ويستحدث أخيلة، وعلاقات متعددة، أقرب ما يكون باعثة الإرتياح، والانشراح والبساطة، فالشاعر أبدع بتنسيق الألفاظ المألوفةوالر ابط بينهما بطريقة غير مؤلوفة، فيرجع في مفرداته إلى الرفة والنظارة والتحرر، وما يمكن تسميته بروح التجديد التي تدعوا إليها، فجاء أسلوبه متنوع الأحاسيس، متغير التعابير فتارة يمدح بألفاظ تدلي الفقيد وتعدد محاسنه ومناقبه، وتارة يبكي فراقه، بحزن وشفقة، وتارة أخر ى تأمل وتحصر على حال الدنيا، هذه الخيرة التي تعامل معها بمعاملة خاصة، فستبعد عنها الوفاء ووصفها بالخيانة والخداع، وصورها بغير انصاف.

كما نلاحظ أيضا تميز لغة واسلوب الشاعر من خلال تنويع في أنماط الأسلوب كالاستفهام، والنداء والتعجب وغيرها، لتضع القارئ في فضاء رثائي حزين، يتأثر به لما يتأثر هو، فيعيش بذلك حقيقة الشعور الصادق، وبرغم من هذه التغيرات التي واكبها الشاعر إلا أن اللغة استطاعت أن تصف وتعبر بكل وضوح.

ثانيا: البديع:

"يستخدم الشاعر البديع سعيا للتوصل إلى أسلوب شعري يهدف إلى الكمال، ويستخدم في البديع وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة، ووجوه تحسين الكلام نوعا ما، أحدهما يختص باللفظ والاخر يختص بالمعنى[1].

1- الطباق: وهو محسن بديعي معنوي وهو الجمع بين معنيين متقابلين وهو نوعان: الجمع بين معنى وضده، أو استعمال نفس المعنى مرة بالإثبات ومرة بالنفي[2] ويسمى أيضا- المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ.[3]

والشاعر أكثر في مرثياته استخدام الطابق، سواء في البيت كله، أو في الصدر او العجز وحده، وهذه بعض الأمثلة من المرثيات الثلاثة:

ففي قصيدة"على ظلال الدنيا نجده يقول:

أراك كما اشتهى الإحياء ظرا *** فأما الميتون فلست أدري[4]

وهنا وجد الطباق بين لفظي "الأحياء" و"الميتون"، فالأولى في الصدر، والثانية جاءت في العجز.

وكذا قوله في نفس القصيدة:

إليك ومنك وجودك حينا *** ومن فقدوك بعد ضياع عمر[5]

وهنا طباق بين لفظتي "وجدوك" و"فقدوك" وكلهما في البيت نفسه، فالأولى في الصدر والثانية في العجز.

---

[1]- فوزي خضر: عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، جائزة عبد العزيز سعود البابطيين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م، ص14

[2]-عائلة بوزارق وآخرون، العمال التطبيقية في النحو والصرف والبلاغة والعروض، ديوان الوطن للمطبوعات، الجزائر، 2000م، ص169.

[3]-عبد القادر حسين: فن البديع، ط1، دار الشروق، بيروت لبنان، 1983، ص45.

[4]-محمود عباس العقاد: ديوان عابر سبيل، ص121.

[5]-المصدر نفسه، ص122

أما قصيدة"رثاء غانم" فنجد في قوله:

وفيا إذا اشاع الوفاء وا ٍنه***عليه، إذا عز الوفاء الأقدر

كريما إذا صال العداة وزمجروا***كريما إذا خان الصحاب وقصروا

صبورا على ضر الغريم وا ٍنه***على الضر من ظلم الصديق لأصبر.[1]

والأبيتان تربة بالطباق، فهذا البيت الأول بين لفظتي"شاع" و"عزة" أما البيت الثاني فبين العداة والصحاب، والبيت الثالث بين الغريم والصديق.

وهكذا إذا تتبعنا الطباق في الأبيات وجدناه يصور لنا وقائع مختلفة بين عالمين وفي ذلك يقول فرحان اليحي:"في تصوير عمق الهوة العميقة والشاسعة بين عالمين متقابلين في رؤية الشاعر الواقع: عالم ينبرم منه ويسخط عليه ويحذر منه، وعالم يتوق غلى تحقيقه ويحتمي به على سيل المتخيل".[2]وهذا ما جعل من العقاد يكثر منه ويوضفه متتاليا في بعض الأبيات، فهو في سخطه على الدنيا يجعلها شيئا ثمينا وجميل يجده الإنسان ثم يفقده، فتصبح أمرا مبهما، بين إذا ما كانت حسنة أو قبيحة، وهذا أمر يختلف فيه الأحياء والأموات. وكذا بين رفيق فقده، وقد وجد فيه كل محاسن الرفيق الصالح. فراح يقارنه في صفاته بين ما شاع وما عز وكونه الصديق الذي وفق ضد الغريم، كما نجد مرثيته"فاز سعد" عينة بهذا الطباق وفي مثل ذلك نجد:

عرف النفي حياه ومماتا***واصابا النصر روحا ورفاتا

كلما اقصوه عن دار له***رده الشعب إليها واستماها[3]

وهنا طباق بين "حياة ومماتا" وبين روحا ورفانا، أما البيت الثاني مبين أقصوه ورده" وكذا في قوله:

قل لهم ابلغ ما قلت لهم***أبها الواعظ صمتا وكلاما[4]

وهنا تضادين صمتا وكلاما.

-فنلحظ في هذه الأبيات أن الطباق يصنع إيقاع «التوافق بين ما هو في غاية التخالف"[5]

---

[1]-المصدر نفسه، ص120.

[2]-فرحان اليحي: أزمة المواطنة في شعر الجوهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص319.

[3]-عباس محمود العقاد، ديوان عابر سبيل، ص68.

[4]-المصدر نفسه، ص69.

[5]-المصدر نفسه، ص69.

2-المقابلة: محسن بديعي معنوي وهي أن يؤتى، بمعنيين أو اكثر ثم يؤتيكما يقابل ذلك على الترتيب.[1]والمقابلة أن يؤتى بمعنين متوافقين أو معاني متوافقة ثم ما يقابلها على الترتيب وهذا الاستخدام الأسلوبي يمنح الشعر طلاوة ويجذب انتباه المتلقي إلى ما في التعبير من إثارة فكرية وشعورية تحقق نوعامن المتعة الفنية لدى المستمع بالإضافة إلى أن الشيء ونقيضه يجتمعان يبرز كل منهما، ما في الآخر من جمال....ويزيد في تعميق وقعه في النفوس[2].

وقد وضف العقاد المقابلة في كثير من الأبيات

وقد وصف العقاد المقابلة في كثير من الآبيات المرثيات، مثل قوله في قصيدة"رثاء غانم".

كريما إذا صال العداة وزمجروا *** كبير بما إذا خان الصحاب وقصروا

فالمقابلة هنا بين لفظين متوافقين وهما"صال العداة وبين "فان الصحاب" وأيضا قوله:

جردوا السياف من أغمادها *** ذاك يوم النصر لا يوم الحداد

ارفعوالر ايات في آفاقها *** أين يوم الموت من يوم الميعاد

وهنا مقابلة أيضا بين لفظين: يوم النصر ويوم الحداد وبين يوم الموت و يوم المعاد وهي وحدات تبين التناقض بين ما يتمناه الشاعر وبين ما هو واقع

ثالثا: البيان:

تعتمد الصورة الفنية في تركيبها على عدة مستويات، والبيان من اهم هذه الجوانب، إذ تعد الأنماط البلاغية وبخاصة التشبيه والاستعارة والكناية أهم أركانها، إذ تمنح المتلقي فضاء تأمليا واسعا، وتوفر الدلالة دقة وعمق، وذلك بما ينتجه الخيال الذي يجمع بين المنيدعدات في علاقات جديدة لم تكن موجودة قبل خلق علاقة تشابه أو إقامة بناء استعاري. والشاعر"عباس محمود العقاد" وقف هذا الجانب البلاغي محاولا بعث صورة حزن تكون أكثر تأثيرا، وا ٍبرازا لمشاعره وا ٍظهارا لألمه، والدراسة التالية تظهر لنا أوطان هذه الأنماط.

[1]-عادل بورزق: الأعمال التطبيقة في النحو والصرف والبلاغة والعروض، ص173.

[2]-فوزي خضر: عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، ص149-150.

1- الاستعارة:

تعريفها: لون من ألوان التعبير المجازي يقوم على استعارة لفظ لتؤدي معنى لفظة آخر، أو استعارة صفة أو أكثر من الصفات التي عرف بها شيء لشيء آخر، ليس هذه الصفات من طبيعته[1].

والاستعارة في البلاغة كما عرفها السكاكي هي تشبيه حذف منه المشبه به أو المشبه ولابد أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائما، كما لابد من وجود قرينة لفظية أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه أو المشبه به،والغرض منها إيضاح الفكرة وا ٍبراز الصورة البلاغية، بمظهر جميل يؤثر في العاطفة ويلهب الخيال فإذا ذكر بها المشبه به كانت تصريحية....وا ٍن كان المذكور هو المشبه سميت مكنية[2].

_أما الاستعارة في الشعر: فهي "علامة اولى، حتى إننا لا نغالي إذا قلنا أن الشعر هو استعارة كبرى، فالشاعر يتخطى لبنائها العلاقات المألوفة لينسج علاقات حية مبتكرة خصبة، فهو يصوغ الواقع صياغة جديدة، تؤدي فيه اللغة الشعرية دورا كبيرا باعتبارها طاقة من الحياة والحركة.[3]

وشاعرنا اهتم بمبحث الاستعارة، بما تحمله من خصائص وسمات على المستويين الدلالي والنفسي، وما تعطيه من معاني متعددة، فالبناء اللغوي الاستعاري الذي يتسم بالإيجاز الشديد يمنحالنص ثراء في المعنى، وا ٍيحاء دلاليا واسعا، وهذا ما نجده متوفرا في المرثيات الثلاثة. فمثلا

في قصيدة: رثاء غانم يجول

أكان ودعا يوم صافحت غانما وهنأته بالعيد، والعيد يسخر[4].

حيث شبه الشاعر العيد بالإنسان، فجعله يرى ويحس ويعلم ماذا يحدث وماذا ينتظره الشاعر، فيسخر منه، مدركا ما ينتظره صاحبه وما يجعله الشاعر، فصفة السخرية هي ما تدل على كون العيد يشبه الإنسان.

---

[1] – ابراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، د ط، التعاضدية العمالية ، تونس، 1986، ص21

[2] – مجدي وهبة وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط é، مكتبة لبنان بيروت، 1984، ص27

[3] –محمد الدسوقي: البنية التكوينية للصورة الفنية، ط2، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010، ص179.

[4] – عباس محمود العقاد، عابر سبيل، ص119

وكذا يقول:

ولازال في دار المعارف منكما ضيع على الأيام يروي ويشكر[1].

فالشاعر جعل من الصنيع كائنا حيا، له فم يحكي به ويتكلم، وله عينان يشاهد بهما، وبذلك يرو ي ويشكر ما فعل الفقيد

2_أما في قصيدة "فازسعد"فنجد يقول:

حبذا الخلد ثمارا الذي *** غرس المجد ونماه نباتا[2].

وقد اجتمع البيت في نوعين، التشبيه والاستعارة، فالأخيرة في قوله غرس المجد ونماه نباتا، فجعل من المجد نباتا يغرس وينموا

وفي قوله:

أنت أيقضت لهم تاريخهم *** وهو في نومه لا يستفيق[3]

وشبه التاريخ بالكائن الحي، ينام ويستفيق وحتى أنه يموت

فالشاعر قد أكثر من الاستعارات التجسمية التي ترتقي بالمجرد إلى مرتبة الجسم الحي في الحركة والسكون، وهذا لأن العقاد أدرك قيمة الاستعارة فيكونها لا تقتصر على ثراء المعنى فقط بل فيما تحدثه من تغيير وخلخلة المعطيات واقع حزنه وبكاءه على الفقيد وعلى نفسه، لتخلق تفاعلا بين هذه الإشعارات ومحيطها اللغوي وا ٍحساسه الصادق.

2-التشبيه:

تعريفه: التشبيه مشبه ومشبه به متميزة واستجابة، عنصران يمتزجان في بوتقة واحدة فيصيران صورة بسيطة أم مركبة لكنها صورة، وقد تكون هي البيت أو المقطع الشعري، هي صورة لأنها تعتمد على الخيال في اختيار المشبه والمشبه به[4]، والتشبيه من الأساليب البيانية التي تتميز باطرادها في الشعر العربي، والتشبيه بوصفه ضربا من التشكيل اللغوي بالألفاظ، تلعب طريقة

[1] – عباس محمود العقاد:عابر سبيل، ص121.

[2] – المصدر نفسه، ص68.

[3] – المصدر نفسه، ص69.

[4] – منير سلطان: الصورة الفنية في شعر المتنبي، د ط، دار المعارف الاسكندرية، 2002م، ص306.

اختيار المفردات المكونة له دورا كبيرا في آداء الوظيفة المنوطة به، ومن ثم تتوقف قيمته البلاغية أساس على نوع الوظيفة التي يؤديها كما تتوقف على صيغة تشكيله في ذاته[1].

وللتشبيه مكانة مهمة في بناء الخطاب الرثائي وشاعرنا نوع بين التشبيه البليغ والتمثيلي، كثر من غيرهما من انواع التشبيه الأخرى، ويعود بروزهما للمستوى الفني الذي يتمتعان به كما يستنتج من الأمثلة التالية:

1- تشبيه البليغ في قصيدة على طلال الدنيا في قوله:

وكنت على ضيائك أنت مرأى وسيما في عيون نبيك يسرى[2].

حيث شبه الشاعر الدنيا بامرأى وسيم بما تجذبه الناس فتذهب عقولهم وتبعدهم عنالآخر ة وعن من هم حولهم، وحتىعلى أنفسهم.

2- تشبيه تمثيلي، في قصيدة فاز سعد:

حبذا الخلد ثمارا للذي *** غرس المجد ونماه نباتا[3]

حيث شبه الخلد بالشجرة فهو ثمار هذه الشجرة تنمو وتزهر.

وقد شكلت الدنيا محورا دلاليا للتشبيه البليغ في المثال الأول، أما في المثال الثاني فالخلد هو دلالة على الارتساخ والبقاء.

3- الكناية:

تعريفها: الكناية في البلاغة العربية، لفظ أطلق وأريد به لازم معناه جواز ارادة المعنى الأصلي[4]، ومن هنا فالكتابة تحمل معنى الخفاء، وشيئا من الغموض وليس المقصود هنا الغموض المؤدي للعلماء والصبابية والتوهان، ولكنه صفاء بناء يجعل المتلقي يعمل فكره وعقله حتى يصل لعمق الصورة"[5].

وقد وظف العقاد في مرثياته الكناية ومثال ذلك ما جاء في قصيدة على "طلال الدنيا"حيث يقول:

---

[1] – محمد الدسوقي: البنية التكوينية للصورة الفنية، ص146.

[2] – عباس محمود العقاد: ديوان عابر سبيل، ص121.

[3] – المصدر نفسه، ص68.

[4] – مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية في اللغة والأدب، ص 310.

[5] – إبراهيم أمين الزرزموني: الصورة الفنية في شعر الجارم، د ط، دار فياء، مصر، 2000م، ص176.

حسبنا جانبيك على استواء *** فيالك حسبة ختمت بصفر[1]

فالشاعر هنا صور لنا صورة العدل الذي ينعدم في هذه الدنيا، فهي إذا أعطت الإنسان ، أخذت منه كل شيء في آخر عمره وتركته ذليلا.

حتى ولو عمل ما يضمن به حياته، إلا أنها تغير جيبه وتجعله خاويا اليدين أما في القصيدة "رثاء غانم" فيقول:

اذاك صياح العيد أم أنا سامع *** صياح اليتامى في الحمى تتفطر[2]

فالشاعر جعل من صياح العيد كناية عن الفرح، أما صياح اليتامى فكناية على البكاء، فبنى بذلك مقارنة بين صورتين متقابلتين الفرح والبكاء.

وفي قصيدة "فاز سعد" يقول

لا يلاقى الخلد بالحزن ولا *** يكتسي الفتح بجلباب السواد[3]

هنا كناية عن الحزن في قوله: "يكسي الفتح بجلباب السواد" وكأنه في مأتم، أو جنازة فقام.

إن هذه الصور من الاستعارات والتشبيهات والكناية، لدليل على انفعال الشاعر وصدق احساسه، فهي تظهر مدى تأثره وحظنه، فجاءت هذه الصور تحمل طاقة انفعالية كبيرة، تعزز الإحساس الكامن في قلب الرجل، والذي يخفيه وراء ملامح وجهه القاسية.

[1]- محمود عباس العقاد: ديوان عابر سبيل، ص122

[2]- المصدر نفسه،ص119

[3]- المصدر نفسه، ص69

خـــــاتمة

ـ خـــــاتمة:

وبعد أن خضنا مطولا في هذا البحث، وتنقلنا في رحاب فن الرثاء، الذي تميز عن غيره من الأغراض الشعرية بثراء في العاطفة، كونه موضوعا إنسانيا وجدانيا، يجمع هموم كل البشر، في عواطف صادقة، ويعبر عن مشاعرهم وانفعالاتهم في أدق المواقف وأصعبها، وصلنا في الأخير إلى أمور يجدر بنا تسجيلها، لأنها خلاصة ما استقر لدينا، تمثلت في بعض النقاط هي:

ـ أن الموت هو المحور الأساسي في شعر الرثاء منذ العصور القديمة، مرورا بالعصر الجاهلي إلى الإسلامي إلى الأموي فالعباسي ثم الحديث، وقد شاعت في هذا اللون من الشعر ألفاظ الحزن والدعاء بالسعي، وذكر بعض صفات الميت كالكرم والشجاعة والصبر والوفاء.

ـ تنوعت موضوعات الرثاء عبر العصور، ومثلت معظم ما يمكن للإنسان أن يرثيه من كائنات وجامدات، فرثى الشعراء أقاربهم وأحباءهم وقبائلهم وحتى المدن إذا سقطت.

ـ كما نلاحظ أن موضوعات الرثاء، في كثيرها متقاربة مع تمايز بسيط في بعضها، فما ينتشر ويشاع في هذا العصر، قد يقل في عصر آخر، فأيام الحروب ينتشُ رثاء المحاربين والزعماء والشهداء، أما أيام الاستقرار فينتشر رثاء الأهل والأقارب والأحبة.... وغير ذلك، مع بروز أنواع جديدة من الرثاء مثل رثاء الحيوان.

ـ أما فيما يخص شاعرنا "عباس محمود العقاد" فلم يشغل نفسه طويلا في الرثاء، بل يمكن أن نقول إن شعر الرثاء عنده قليل بالنسبة لحجم ديوانه، إلا أن رثائه صادق اللوعة عميق التفجع لونه بألوان الأسى القاتمة، بنزعة عقلية تعالج الواقع.

ـ ومن حيث الموضوعات فقد اقتصر الرثاء عند العقاد في ثلاثة أنماط هي"رثاء النفس" وكلها ذم للدنيا واختناق فيها، يريد الرحيل، بعد أن أصبح وحيدا، فقيرا، يرى الفساد وعدم الإنصاف في دروبها. "رثاء الزعماء". عندما نقل رفات الزعيم" سعد زغلول" من ضريحه في صحراء الإمام إلى جوار بيت الأمة. وآخر في رثاء الصديق" بعد موت صديقه المقرب"محمد غانم".

ـ أما فيما يخص الدراسة الفنية، فخلص إلى أن الألفاظ في هذه المرثيات كنموذج من شعر شاعرنا واضحة لا لبس فيها ولا غموض، تستجيب لمنازع المأساة.

ـ أما من حيث التلاؤم بين اللفظ والمعنى، فقد وفق الشاعر في ذلك بصورة فنية، فأصبح اللفظ في خدمة التعبير عن المعاني والتجارب بصورة جميلة.

ـ كما نجد أن الشاعر ميز مرثياته بالانتقال السريع والمباشر إلى غرض الرثاء دون تطويل، ومماطلة فعلى سبيل المثال في أولى قصائده المتناولة يقوم مباشرة برثاء الدنيا فيقول في أول بيت:

قضيتُ الآن يا دنيا فقريِ *** لمن أرثيك؟ ويحـك! لسـت أدري

وفي الثانية يقول:

أكان وداعا يوم صافحت غانما ***وهنأته بالعيد، والعيد يسخرُ ؟

وفي الثالثة يبدأ يقول:

عرف النفي حياة ومماتا ***وأصاب النصر روحا ورفاتاَ

ـ أما من حيث الصورة في القصائد، كل ما أورده الشاعر في المرثيين جاءت في صورة تهويلية مثيرة، متنوعة بين بنياتها من مدح وثناء، وذم وغير ذلك رافعا من قيمة المرثيين، ومعززا مكانتهم.

قـــائمة المصادر

و المـــــراجع

ـ القـــرآن الكـــريـم:برواية ورش.

ـ قائمة المصادر و المراجع:

أولاـ قائـــمة المصـــادر:

1ـ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، 1290، ص5، نقلا عن صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وا ٍجراءاته.

2ـ عباس محمود العقاد، عابر سبيل، د ط، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، مصر، يناير 1998.

3ـ محمد بن سلامة الجمحي: طبقات فحول الشعر، دار الكتب العلمية – بيروت، 1980.

ثانياـ قائـــمة المراجـــع:

4ـ إبراهيم أمين الزرزموني: الصورة الفنية في شعر الجارم، د ط، دار فياء، مصر، 2000م.

5ـ إبراهيم عوض: في الشعر العربي الحديث، تحليل وتذوق، د ط، المتاجر للطباعة والكمبيوتر، مصر، 1426هـ-2006م.

6ـ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، دار علم الكتب، القاصرة، ط4، 1993.

7ـ أحمد هيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، د ت، نسخة 1.

8ـ بشرى محمد علي الخطيب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، مدونة مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، 1977.

9ـ جماعة من المؤلفين: اللغة الأم، صنف4/168، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر، 2004.

10ـ حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت.

11ـ حمد الطالبي: الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ط1، ج2، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 1994.

12ـ شوقي ضيف: فنون الأدب العربي الفن الغنائي2، الرثاء، ط4، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة.

13ـ صموئيل نوح كريمر: أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.
14ـ عبد الحليم محمد حسين: الرثاء في الشعر العربي،عدد12،2 مارس 2010 ،الشارقة.
15ـ عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ط1، وكالة المطبوعات عبد الله حرمي الكويت، 1986.
16ـ عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 1998.
17ـ عبد اللطيف يوسف عيسى: شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط1، دار عبدان للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.
18ـ علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
19ـ علي فاضل عبد الواحد: عشتار ومأساة تموز، دار الشؤوق الثقافية، بغداد، 1986.
20ـ فؤاد إفرام البستاني: الشعر الجاهلي، نشأته، فنونه، صفاته، د ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1967.
21ـ قاسم الشواف وأدونيس: ديوان الأساطير السومرية وأكادو وأشور، الكتاب الثاني الآلهة والبشر، دار الساقي، بيروت، 1977.
23ـ كامل محمد محمد عويضة: عباس محمد العقاد قطرات من بحر أدبه، ط1، دار الكتب العلمية، بريوت–لبنان، 1994.
24ـ محمد أحمد عدنان: قراءة في مرثية مالك بن الريب، الموقف الأدبي، ع 303، 1996.
25ـ محمد بن سلامة الجمحي: طبقات فحول الشعر، دار الكتب العلمية – بيروت، 1980.
26ـ محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
27ـ مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، د ط، دار العلم للملايين، لبنان، 2011.
28ـ مصطفى الشوري: شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية، د ط، الشركة المصرية للنشر لولجمان، القاهرة، 1995.
29ـ مقداد رحيم: رثاء النفس في الشعر الأندلسي، د ط، جهينة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، س 1433–2012م.
30ـ منجد مصطفى بهجت: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د ط، د ت.

31ـ منير سلطان: الصورة الفنية في شعر المتنبي، د ط، دار المعارف الاسكندرية، 2002م.
32ـ نعمة مقبول علي بشير: المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام، د ط، دار الصادر، بيروت، 1997.
33ـ وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ط3، دار النهضة، القاهرة، مصر، 1945.
34ـ ابراهيم أنيس: أسرار اللغة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1971.
35ـ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، 1290، ص5، نقلا عن صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وا إجراءاته.
36ـ السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
37ـ حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.
.38ـ رمضان عبد الله: أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، ط1، مكتبة البسان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.
39ـ سيد شريف الجرجاني: د ط، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
40ـ صلاح فضل: الأساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1998.
41ـ صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئوا إجراءاته، ط، دار الشروق، القاهرة، مصر،1419هـ.
42ـ عادلة بوزارق وآخرون، العمال التطبيقية في النحو والصرف والبلاغة والعروض، ديوان الوطن للمطبوعات، الجزائر، 2000م.
43ـ عباس حسن: النحو الوافي، ط5، ج1،دار المعارف بمصر.
44ـ عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، الصنف:4/071، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة الجزائر، 2003.
45ـ عبد القادر حسين: فن البديع، ط1، دار الشروق، بيروت لبنان، 1983.
46ـ فايزة الداية: علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الفكر، دمشق، سوريا.
47ـ محمد الدسوقي: البنية التكوينية للصورة الفنية، ط2، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010.
48ـ محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات الأدب العربي الحديث ومدارسه، ط1، دار الجيل، بيروت – لبنان، الجزء الثاني، س: 1992م-1412هـ.
49ـ محمود احمد نخلة:لغة القران الكريم في جزء عم.

50ـ موسى عبد الرحمن قبشاوي: وقفة مع العربية وعلومها، ط1، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، 1999.
51ـ نور الدين السد، تحليل الخطاب الشعري مجلة اللغة و الدب، دار حومة، د ت.

ثالثاـ المعـــــاجم:

52ـ إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، د ط، التعاضدية العمالية ، تونس، 1986.
53ـ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، م1،عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.

54ـ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، م1عالم الكتب للنشر و التوزيع، القاهرة، 2008.

55ـ جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984.
56ـ الجو هري، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل الطريفي، ط1، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999 .

57ـ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وعلق على حواشيه محمد محي الدين، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987.

58ـ الزمخشري: أساس البلاغة، د ط، دار صادر، بيروت، 1979.
1998.
59ـ ابن فارس أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون،ج2، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979.

60ـ الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي: القاموس المحيط، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.
61ـ ابن كثير الدمشقي: قصص القرآن،تحقيق الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2003.
62ـ أبو محجن الثقفي: الديوان، دط، برعل، 1887.

63ـ مجدي وهبة وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط ، مكتبة لبنان بيروت، 1984.

64ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط.

65ـ ابن منظور: لسان العرب، ط4، م5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005.

رابعاـ الرسائل والأطروحات:

66ـ زينب بيره جكلي: مظاهر الرثاء في الشعر العربي في العصر العثماني، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

67ـ ساهر عوض الكفاوين: الشعر العربي في رثاء الدول والأمصار، نهاية سقوط الأندلس، رسالة دكتوراه، إشراف حسن محمد باجودة، جامعة أم القرى، السعودية، 1984.

68ـ عبد القادر شريط: فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، إشراف محمد الأخضر الزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005-2006.

69ـ محمد مجيد السعيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، دط، مطابع الرسالة الكويت، 1979.

70ـ نادية طاهر: شعر ابن مسايب دراسة أسلوبية، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، س1997-1998.

خامساـ المجلات والمنشورات:

71ـ أسعد محمد علي النجار، رائد مهدي جابر: الرثاء عند شعراء الحلة، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العدد 2، المجلد 2، 2012.

72ـ هيثم خوجة: عباس محمود العقاد، شاعر العقل والوجدان، أمسية شعرية ثقافية، بجامعة الفيروز رأس الخيمة، الإمارات، 03 مارس 2014.

73ـ فرحان اليحي: أزمة المواطنة في شعر الجوهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

فهرس الموضوعات

الفهـــــرس

تشكر
مقدمة ..... أ
مدخل 05
الفصل الأول: **موضوعات الرثاء في شعر العقاد** 30
أولا: ترجمة الديوان 31
ثانيا: رثاء النفس 35
ثالثا: رثاء الأصدقاء 45
رابعا: رثاء الزعماء 50
الفصل الثاني: **دراسة فنية لمرثيات العقاد** 61
أولا: التشكيل اللغوي والأسلوبي للمرثيات 62
1- اللغة 62
2- الأسلوب 63
3- البناء اللغوي الأسلوبي 64
ثانيا: البديع 87
1- الطباق 87
2- المقابلة 89
ثالثا: البيان 89
1- الاستعارة 90
2- التشبيه 91
3- الكناية 92
الخاتمة : 95
الفهرس
قائمة المصادر والمراجع

تم بحمد الله

ملخـــــــص:

تناولت هذه الرسالة موضوع الرثاء في "شعر عباس محمود العقاد"الذي يعد من أشهر أدباء عصره،ومن ابرز الشخصيات التي يسودها التعقيد والجدل.

وقد استهل بحثي هذا،ضبطا لمفهوم الرثاء، الذي يعد من أهم الأغراض الشعرية القديمة وأصدقها،وأكثرها صلة بالنفس البشرية والوجدان الإنساني، مع الإشارة إلى تطوره عبر العصور، ابتداء من الحضارات القديمة حتى العصر الحديث، مستعرضة جميع موضوعاته.

وقد احتوت الرسالة على فصلين: تناولت في الأول ما نظمه الشاعر من مرثيات، حددت حسب أنواع الرثاء إلى ثلاثة موضوعات هي، رثاء النفس، رثاء الصديق ورثاء الزعماء.

أما الفصل الثاني فقمنا فيه بدراسة فنية ،من حيث اللغة و الأسلوب والبديع والبيان، وانتهى البحث بمجموعة من النتائج أهمها:

إن الموت هو محور الأساس في شعر الرثاء عبر العصور، إلى العصر الحديث، وقد تنوعت موضوعاته ومثلت ما يمكن للإنسان إن يرثيه من كائنات وجامدات، كما نلاحظ تقارب موضوعات الرثاء مع تمايز بسيط في بعضها، فما يشاع هذا العصر يقل في العصر الأخر.

أما فيما يخص الشاعر فلم يشغل نفسه طويلا في الرثاء، فهو قليل بالنسبة إلى ديوانه، إلا أن مرثياته سادها الإحساس الصادق والإيمان بسنة الحياة.

Summary:

This letter addressed the issue of self-pity in " Abbas Mahmoud El Akkad ," which is of the most famous writers of his time hair , and the most prominent figures who dominated the complexity and controversy.

This research has been initiated , restraint of the concept of self-pity , which is one of the most important ancient poetic purpose and believe her , and most human self- conscience and humanitarian link , with reference to its evolution through the ages , from ancient civilizations to the modern era , all cross-sectional themes.

The letter contained two chapters: the first dealt with what was organized by the poet of elegies , identified by types of self-pity into three themes , self- lament , lament friend and lament leaders.

The second chapter co-operation in which a technical study , in terms of language and style, and magnificent statement , and the search is over a range of results , including:

Shall death is the focus of the foundation in the poetry of lamentation through the ages , to the modern era , have varied themes were represented as possible for a person to Rithih of objects and Jamdat , also note the convergence of lamentation topics with simple differentiation in some of them , what is rumored this age at least in the other age.

Either with respect to the poet he did not concern himself too long in self-pity , it is a little respect to his office , but the Mrtyate overwhelmed by a sense of sincere faith and a year of life.